الآيات التي عدها المفسرون أصولاً بلاغية
دراسة استقرائية تحليلية

د٠ محمد بن راشد حمد الصبحي (*)

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد،

فقد اتخذ المفسرون منهجيات مختلفة في تحليلهم للآيات القرآنية منها: تركيزهم على آيات معينة أكثروا من إيرادها في مجال التحليل والتعليل والربط في مجالات علمية مختلفة، ومنها: التحليل البلاغي، فهناك آيات قرآنية معينة استقرت في الحقل اللغوي واتخذها المفسرون واللغويون منطلقاً يتكئون عليه في إيصال أفكارهم وتحليلاتهم؛ إما من باب الاستشهاد والتأكيد لما يقولون أو للاكتفاء بها عن الشرح والإطالة، فلا يخلو كتاب متقدم للمفسرين واللغويين من إيرادها، فهي أشبه ما تكون بالعناوين لتلك الأساليب، وهذه الآيات انتقلت من كتب المتقدمين من المفسرين إلى كتب البلاغيين، ووظفت كثيراً في توضيح أساليب علم المعاني خصوصاً وبقية الأساليب البلاغية عموماً، وتتبع مثل هذه الجزئية يوضح لنا كيف نشأت البلاغة؟ وما هي مواردها الأولى التي تلقفها البلاغيون وأسسوا صرح هذا العلم من خلال الاستفادة منها؟ فإنَّ "تاريخ البلاغة علماً مجهولاً في كثير من جوانبه"(١)، واستفادة البلاغيين من غيرهم من أصحاب الفنون الأخرى ثابتة، ولكن مثل هذه الجزئيات التي استهدفها البحث لم يهتم بها من أرَّخ للبلاغة، فقد كان اهتمامهم منصباً على التأريخ لرجال هذا الفن، أو عرض مصنفاتهم، وهذا

(*) الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية.

(١) مراجعات في أصول الدرس البلاغي للدكتور/ محمد أبو موسى ٧.

الموضوع لم ينل حظه من الدراسة عند الباحثين، فلم أقف على من تناوله؛ ولذا أحببت أن أفرد بحثي لهذه القضية والتركيز فيها على الشواهد التي جُعلت بمنزلة الأصول التي يستند عليها البلاغيون.

أسباب اختيار الموضوع:

١- تسليط الضوء على جزئية من أهم جزئيات نشأة علم البلاغة، وهي من الجوانب التي أغفلتها الكتب التي تحدثت عن نشأة هذا الفن.

٢- أنَّ هذه المنهجية كان يوظفها المفسرون ثقة بما لدى القارئ من تحصيل علمي يمكنه من إدراك مراد المصنف، وأنه يستعين بهذا التحصيل لتأكيد ما يُريد أو ليكفيه عناء إطالة التفصيل والإيضاح.

٣- خلو المكتبة البلاغية من مثل هذه الدراسة التي تكشف عن هذه المنهجية من منهجيات المفسرين في التحليل العلمي.

٤- تستهدف هذه الدراسة تبيين أنَّ العلوم الإسلامية بينها تكامل، وأنَّ البلاغيين استفادوا مما أصله من قبلهم، وبنوا علمهم عليه، وانتقل كثير مما قرروه إلى كتب المفسرين المتأخرين.

خطة البحث: جاء البحث في ثلاثة مباحث، يسبقها تمهيد على النحو **الآتي:**

التمهيد، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم كلمة الأصل.

المطلب الثاني: طرق المفسرين في الربط بين الآيات.

المطلب الثالث: التأثر والتأثير بين المفسرين والبلاغيين.

المبحث الأول: شواهد أحوال المسند إليه والمسند.

المبحث الثاني: شواهد صور خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.

المبحث الثالث: شواهد الإنشاء.

المبحث الرابع: شاهد كمال الاتصال.

المبحث الخامس: شواهد الإيجاز والإطناب.

المبحث السادس: شواهد المجاز.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج.

وختمت البحث بفهرس المصادر والمراجع.

منهج البحث:

وأما منهجي في هذه الدراسة فهو المنهج الاستقرائي التحليلي، فقد تتبعت الآيات التي أكثر المفسرون من إيرادها، فجعلتها أصلاً ووضعتها في صدر الكلام، وأعقبت ذلك بتحليل بعض الشواهد لإيضاح ما فيها من أسلوب أو غرض بلاغي، وذكرت الباقي في جداول أنص فيها على السورة والآية ومن ذكرها من المفسرين، فكل ما أدرج تحت الآية الأصل من الآيات فقد ربط بينهما عند المفسرين، وهي فيما وقفت عليه أربع وعشرون آية يندرج تحتها خمسمائة وسبع وثلاثون آية، واعتمدت على مجموعة من التفاسير تختلف فيما بينها في كثرة توظيف هذه الأصول، وسأذكرها وفق الأكثرية وهي: التحرير والتنوير لابن عاشور، وتفسير الرازي المسمى بالتفسير الكبير، والبحر المحيط لأبي حيان، وتفسير القرطبي، والمحرر الوجيز لابن عطية، وتفسير البغوي، وتفسير أبي السعود، والتفسير البسيط للواحدي، والكشاف للزمخشري وحاشيته المسماة بفتوح الغيب للطيبي، وتفسير الطبري، وأقل منهم الشوكاني في تفسيره (فتح القدير) والبيضاوي والنيسابوري والثعلبي والقاسمي وابن الجوزي في (زاد المسير)، وعبد القاهر الجرجاني في التفسير المنسوب له، والنسفي في تفسيره، وبعض المفسرين كان له تميزه في ذكر بعض الانفرادات دون غيره؛ ولذا ذكرت ما لهم كالشهاب في حاشيته على البيضاوي، والشربيني في تفسيره (السراج المنير)، ومكي بن أبي طالب في تفسيره (الهداية إلى بلوغ النهاية)، والسمين الحلبي في كتابه (الدر المصون)، على أنَّ هذه الكثرة مختلفة في الأساليب، فأسلوب الحكيم من الأساليب التي قل ورودها في القران الكريم، فهي تختلف عن أسلوب التقديم مثلاً الذي ورد في سور وآيات كثيرة.

وأما الأعلام فهم من المشهورين لذا لم أترجم لهم.

**

المطلب الأول: مفهوم كلمة الأصل

سأتناول مفهوم هذه الكلمة من الناحية اللغوية والاصطلاحية، فهي من المفاهيم التي اختلف مدلولها باختلاف الفن الذي ترد فيه.

أ- **المفهوم اللغوي:** دارت هذه الكلمة ذات الأصل الثلاثي في اللغة حول ثلاثة أصول بينها تباعد في المفهوم، **أولها:** أساس الشيء، ولذا قيل: استأصلت هذه الشجرة، **أي:** ثبت أصلها، **والثاني:** هو الحية، **والثالث:** هو الوقت الزمني المحدد بما كان من النهار بعد العشي[١]، وذكر الدكتور محمد جبل أنَّ المعنى المحوري الذي تدور معه الكلمة هو: "امتداد في العمق يقوم عليه الشيء ويمتد منه إلى الأعلى"[٢]، والمعنى الأول منها يتوافق مع فكرة هذا البحث، فإنَّ هذه الشواهد التي سأذكرها عُدت كالأصل في بعض المسائل والأغراض البلاغية قلما يخلو كتاب لغوي أو تفسيري قديم من ذكرها، فإذا ذكر أسلوب بلاغي ما أُتبع بهذا الشاهد، فاللغويون والمفسرون كانوا يتواترون على ذكر مجموعة من الآيات يقيسون عليها حتى استقرت في أذهان الدارسين والقراء، فهي لهذا أشبه ما تكون بالأصل الثابت.

ب- **المفهوم الاصطلاحي:** اختلف مفهوم هذه الكلمة اصطلاحاً باختلاف الحقل العلمي الذي وردت فيه، فهي عند الأصوليين بمعنى: الدليل والرجحان والقاعدة المستمرة والصورة المقيس عليها والمستصحب[٣]، وأقربها الأول[٤].

وأما في النحو فورد عند قدماء النحاة كالخليل وسيبويه، فجاء في أبواب نحوية كثيرة في المقيس عليه والدليل والكثرة والقاعدة والحكم واستصحاب الحال وعدم التقدير والبناء والتنكير والتذكير والجذر كلها تعد أصولاً وغيرها كثير[٥].

---

(١) يُنظر العين ١٥٦/٧، ومقاييس اللغة ١/ ١٠٩.

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل ٣/ ١٢٤٩.

(٣) يُنظر نهاية السول شرح منهاج الأصول لعبد الرحيم الإسنوي ٨، وأصول الفقه لوهبة الزحيلي ١٦.

(٤) إرشاد الفحول للشوكاني ٥٧.

(٥) يُنظر فلسفة الأصل النحوي للدكتور/ توفيق فهمي ٦٨.

وورد هذا المصطلح عند البلاغيين في أبواب متنوعة بعضها في علم المعاني كالذكر باختلاف مواقعه والتنكير والتقديم والإظهار، وملاحظة الأصل في التقييد بأدوات الشرط (إن- إذا) وفي أن الأصل في الكلام الحقيقة لا المجاز، وأكثر البلاغيون من ترداد هذه الكلمة في أسلوب الاستعارة(١)، وفي أسلوب التشبيه كذكرهم أن الأصل إيراد التشبيه بأداته.

وأكثر المفسرون من ترديد هذه الكلمة في جوانب ثلاثة هي: الجانب اللفظي حيث كانوا يذكرونه في ضبط الكلمة وتبيان اشتقاقها وأعربية هي أم أعجمية؟ وبيان منشأ الكلمة، وفي المعنى، وفي إطلاق الأصل على الحكم باختلاف هذا الحكم أكان شرعياً أم عقدياً أم خلقياً أم لمحة من علوم تطبيقية أو طبية؟(٢).

والمفهوم الذي قصدته في بحثي هذا هو: أن يكثر المفسر من الاستشهاد بآية واحدة لتقرير ما في غيرها من الآيات بجامع الأسلوب والغرض البلاغي، فهذا الشاهد يُعتبر هو النموذج الأصل الذي يستعين به المفسر لإيصال فكرته وتقرير تحليله.

المطلب الثاني: طرق المفسرين في الربط بين الآيات

لم ينص المفسرون على أنَّ آية ما هي الأصل في أسلوب بلاغي أو غرض بلاغي، بل كانوا يوظفون مجموعة من المصطلحات أو الأوصاف ليدلوا على أنَّ الآية المستشهد بها تُعتبر بمثابة الأصل، ومع عدم إطلاق هذا المصطلح إلا أنَّه يمكن للباحث أن يستخرج من تحليلاتهم بالمنهج الكمي أنهم كانوا يكثرون من الاستعانة ببعض الآيات في تقرير الأسلوب والغرض البلاغي، فيوردونها كتأكيد لما يحللون أو تقرير لما في غيرها، وهو منهج أعم من البلاغة، فيوردون عبارات يُفهم منها أنَّ بعض الآيات تُعد أصولاً في بابها باختلاف هذا الباب عقدياً كان أو فقهياً أو خلقياً كقولهم: (أرجى آية في كتاب الله) و(أشد آية في كتاب الله) وتسمية

(١) يُنظر أسرار البلاغة ٣٠، ٥٠.

(٢) يُنظر الآيات التي قال عنها المفسرون هي أصل في الباب لسلطان الصطامي ٢٩- ٣٤.

بعض الآيات كآية الدين وآية السيف وآية القتال، واختياري لكلمة (الأصل) دون غيرها في العنوان؛ لأنها أدل كلمة في الدلالة على المقصود من البحث، ولأنها تحمل كل الأوصاف والطرق التي وظفوها، **وهي تأتي على طريقتين هما:**

١- **عبارات الإلحاق والتصنيف** كقولهم: (هذه الآية من باب قوله تعالى): فهذه العبارة أوردها الإمام الطيبي في حاشيته على الكشاف خمس عشرة مرة منها أربع بلاغية[١]، والألوسي مرتين[٢]، أو يقولون: (هذه الآية من أسلوب قوله تعالى...) وأكثر من أوردها الإمام الطيبي فقد ذكرها عشر مرات ست منها في مواضع بلاغية[٣]، أو يقولون: (على طريقة) وهذه العبارة أكثروا من توظيفها، ومن أكثر من أوردها الإمام الطيبي وابن عاشور ووردت على قلة عند غيرهما[٤]، أو يقولون: (من قبيل)[٥]، أو يقولون: (على حد) [٦]، والرازي عند الربط بين الآيتين كان يستخدم عبارة: (على قانون) [٧]، وبعض المصطلحات وظفها المفسرون أكثر من غيرها كالإمام الطيبي الذي وظف عبارة (على طريقة..).

٢- **عبارات التشبيه:** كثير من الآيات ربطت بالآية الأصل عن طريق أسلوب الإلحاق من خلال أداة التشبيه (الكاف)، وهذا هو الغالب على كثير من الشواهد التي سأذكرها.

---

(١) يُنظر فتوح الغيب ٣/ ٢٥٩، ٥/ ٤٧٦، ٥٨٦/٦، ١١/ ٣٣٨.

(٢) روح المعاني ٣/ ١٩٧، ٧٢/٢٨.

(٣) يُنظر فتوح الغيب ٨٧/٧، ٣٨٩/٩، ٩/ ٤٦٢، ١٥٥/١٣، ١٤/ ١٣، ١٥/ ٩٩.

(٤) تفسير الرازي ١٢/ ٣٨، وتفسير البيضاوي ١/ ١٤٤، ١٢٤/٤، وفتوح الغيب ٤/ ٢٧٩، ٥/ ١٢، ٥/ ٢١١، ٦/ ٥٠٤، ٧/ ٧١، ١٢/ ١٤٦، وروح المعاني ١٩٤/٧، والتحرير والتنوير ١/ ٣٣٨، ٢/ ٤٨٦، ٣/ ١٣، ٣٣٤/٧، ١٦١/١٣، ٢٨/٢٥، ٢٦/ ٣٤٥، ٣/ ٢٦٢.

(٥) تفسير الرازي ٢٦/ ٦٣، وفتوح الغيب ١٢/ ٥٧٦، ٣٤٧/١٤، والتحرير والتنوير ٤٣/٥.

(٦) المحرر الوجيز ٢٤٩/١٣، والبحر المحيط ٤٣٦/٦، ١٠/ ٥٨، ٣٦/٤، وروح المعاني ٢٢١/١٤، والتحرير والتنوير ١٠١/٨، ٢٧/ ٥٦، ١١٢/٢٨، ٣٣٤/٢٨.

(٧) تفسير الرازي ١٣/ ٢١٨.

المطلب الثالث: التأثر والتأثير بين المفسرين والبلاغيين

علوم البلاغة الثلاثة من العلوم التي نشأت متأخرة عن غيرها، فكثير من أصولها العلمية وأساليبها لم تكتمل إلا في مراحل متأخرة عن نشأة بقية العلوم، وعلى يد السكاكي المتوفى سنة (٦٢٦هـ) أمّا قبل ذلك فالبيان كان مبثوثاً في كتب العلوم المختلفة؛ اللغوية والأدبية والشرعية، فكثير من الأساليب البيانية نضجت قبل نشوء علم البلاغة بصورته المعروفة، فالعلماء الذين اتجهوا هذا الاتجاه كانوا آخر من ظهر في حقل الدراسات البيانية، كما أنَّ تصنيفهم لعلوم البلاغة لم يتقرر بصورة نهائية إلا في مرحلة متأخرة كما ذكرت، "فإنَّ الثابت تاريخياً هو أنَّ الأبحاث البيانية كانت على رأس الأعمال الأولى التي انتقلت بالثقافة العربية الإسلامية، مع بدايات عصر التدوين، من ثقافة المشافهة والرواية إلى ثقافة الكتابة والدراية"[1]، وكانت المباحث البيانية من أوليات اهتمام المفسرين، وكان كثير منهم من علماء اللغة كأبي عبيدة والفراء، فقعدوا الكثير منها خصوصاً مسائل علم المعاني، وقعدوا لها من خلال آيات معينة انتقلت من كتبهم التي تعنى بلغة القرآن إلى كتب المفسرين ممن أتى بعدهم الذين كانت لهم منهجيات مختلفة للوقوف على الأساليب البلاغية ودقائقها، ومنها الاستشهاد بالشواهد التي استقرت في الحقل البلاغي فيما بعد، فكأن المفسر يُحيلنا إلى ما استقر في نفوسنا ورسخ في عقولنا من هذه المسائل لنقيس عليها ونفهم الآية التي أمامنا كما فهمنا الآية الأصل، بالإضافة إلى أنَّ هذا الأسلوب يُرضي فهم المتلقي فبدلاً من أن يُطيل المفسر في الشرح والتفسير والتعليل يُحيلنا إلى هذه الآيات الأصول.

وهذا الموضوع له أهميته في تبين شيء من النشأة التاريخية للبلاغة، فعلم البلاغة انبنت كثير من مسائله على ما ذكره المفسرون والنحاة وغيرهم، وكثير من الأساليب البلاغية استوت على سوقها قبل بزوغ هذا العلم، فوجد البلاغيون كثيراً

(١) بنية العقل العربي (دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية) للدكتور/ محمد الجابري ١٤.

من المسائل التي تنتمي لها الشواهد الأصول مقررة مدروسة فنقلوها إلى كتبهم البلاغية التقعيدية، وأضافوا لها ومدوا أطناب التحليل فيها، ولكن النواة الصلبة في الاستشهاد بقي كثير منها كما هو، وهي الآيات الأصول التي ترددت في كتب المفسرين السابقين، فمن هذه المسائل مسألة التأكيد بشبه الجملة في قوله تعالى: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُون} [الأنعام:٣٨]، فالطائر لا يطير إلا بجناحين، فلو حذف لانصراف الذهن إليهما؛ لأنّها الأداة الوحيدة التي يستخدمها الطير في طيرانه، ولكنه ذُكر للتأكيد، وهي بهذا التحليل مذكورة عند جملة من قدماء المفسرين اللغويين كالفراء وابن قتيبة والطبري والزجاج [(١)]، وانتقلت هذه الآية بعد ذلك إلى الحقل البلاغي، وممن ذكرها السكاكي في بيان المسند إليه فقد ذكر أنَّ المقصود من هذه الزيادة تبيان الجنس وتقريره[(٢)]، وقصد بالتقرير رفع ما يحتمله من غير المقصود كما ذكر الإمام العلوي[(٣)].

والغالب على البلاغيين أن يتأثروا بالمفسرين في شواهدهم، ولكن السؤال هل تأثر المفسرون بالبلاغيين ووظفوا مصطلحاتهم الفنية والعلمية في كتبهم، الجواب نعم، وأوضح نقطة على هذا التأثر تحليلاتهم لأسلوب الحكيم، فقد اجتهدت في البحث عن كلام للمفسرين الأوائل في هذه الصورة من الكلام فلم أظفر بشيء، فهو مصطلح متأخر الظهور عند السكاكي الذي سماه بهذا الاسم[(٤)]، فانتشرت التسمية بعد ذلك في كتب المتأخرين من المفسرين، كما أنّه يُنسب له أنه أول من ذكر أمثلة له من القرآن[(٥)]، فمن أقدم من ذكره من المفسرين ممن تأثر بالسكاكي

(١) معاني القرآن ٣٣٢/١، وتأويل مشكل القرآن ٢٤٣، وتفسير الطبري ٢٣٦/٩، ومعاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢٤٥، ٤٣٢/٣.

(٢) مفتاح العلوم ١٩٠.

(٣) الطراز ٢٦٨/٣.

(٤) الأسلوب الحكيم (دراسة بلاغية تحليلية) للدكتور/ محمد الصامل٢٤.

(٥) الأسلوب الحكيم (دراسة تاريخية فنية) للدكتور/ سعد إسماعيل الهلالي ٨٨.

الطيبي في حاشيته على الكشاف[1]، ومن بعده أصبح مصطلحاً حاضراً في كتب المفسرين، وما قبل السكاكي كانت مسميات فارقته فيما بعد كالمغالطة الذي ذكره عبد القاهر الجرجاني، وكان مصطلحاً أطلقه على النوع الأول من أسلوب الحكيم، وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب[2]، ولكنَّ هذا المصطلح فارق هذا الأسلوب إلى ما سُمي بالمغالطة المعنوية، وهي نوع من أنواع التورية.

ومن الأساليب التي قررها البلاغيون وانتقلت إلى كتب المفسرين المتأخرين مسألة الفصل بين المتلازمين؛ كون الجملة الثانية بياناً وإيضاحاً للجملة الأولى في أسلوب (كمال الاتصال) فمن أقدم من ذكره مستفيداً من تأصيل السكاكي له في كتابه (مفتاح العلوم) الإمام الطيبي، فقد اجتهدت في تتبع هذه المسألة في كتب الأقدمين فلم أظفر بشيء، وشاهده الأشهر قوله تعالى: {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى} [طه:١٢٠] فقد حللها وفق هذا الأسلوب الطيبي مسنداً القول فيها إلى السكاكي[3]، فانتقلت من بعده إلى كتب المفسرين كالنيسابوري في كتابه (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) و(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) لأبي السعود[4] وغيرهما من المتأخرين.

ومن الآيات التي عُدت أصلاً في حذف الصفة قوله تعالى:{ وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا}[الكهف:٧٩]، فلم أقف على من ذكرها من متقدمي المفسرين، وإنّما رأيت حضورها كأصل في هذا الأسلوب عند ابن عاشور الذي كان أكثر إيراداً لها كما سيرد معنا، فهو استفاد مما أصله البلاغيون في باب الإيجاز في مسألة حذف الصفة.

**

(١) يُنظر فتوح الغيب ٣/ ٢٥٩، ٣٥/٤، ٣٣٤/٥، ٥٥٢/٦.

(٢) دلائل الإعجاز ١٣٨.

(٣) فتوح الغيب ٣١٠/٤.

(٤) تفسير النيسابوري ٥٧٧/٤، وتفسير أبي السعود ٣٣٢/٤.

المبحث الأول
شواهد أحوال المسند إليه والمسند

للمسند إليه والمسند أحوال كثيرة منها: الحذف والذكر، والتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير والتقييد والإطلاق، ولكل منها أغراض متنوعة ذكرها البلاغيون وأطنبوا القول فيها واستشهدوا لها بشواهد مختلفة، ووجدت أنَّ المفسرين أكثروا من توظيف ثلاث آيات للتدليل على أحوال مختلفة لأركان الجملة.

الآية الأولى: قوله تعالى: {فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ}، [ص:٣٢] ففي الآية إضمار للمسند إليه وهو الفاعل، وهي الشمس، وحُذفت للعلم بها، فإن الذهن لا ينصرف إلا إليها، وقد يكون الحذف مرتبطاً بضيق المقام بسبب كونه مقام شكوى وندم(١)، إضافة إلى أنَّ سياق الكلام المستلزم لهذا الفاعل استلزاماً بعيداً يدل عليها(٢)، وكذلك في ذكر كلمة (العشي) في الآية السابقة دلالة عليها(٣)، وربط الدكتور محمد أبو موسى بين حذف الفاعل وتواري الشمس، فذكر أنَّ بينهما تناسباً من هذه الناحية(٤)، فكما توارت الشمس في الحقيقة حُذفت من بناء الجملة كذلك، ووُضع لهذا الأسلوب قيد، وهو أن يكون للمضمر شهرة في الكلام تجعل الأذهان تنصرف إليه(٥)، وجعلها ابن قتيبة الآية الأصل عند تقعيده لهذا الأسلوب(٦)، والغرض الغالب على هذا النوع من الإضمار هو الاختصار والثقة بفهم السامع، وأنَّ ذهنه لا ينصرف إلا إلى المقدر، ولذا خُصص بالمعلوم كما ذكرت، وأحال المفسرون لهذه الآية مجموعة من الآيات وصلت إلى خمس وعشرين آية فيما وقفت عليه، ووجدت أنَّ أكثرها وروداً كان في

(١) يُنظر خصائص التعبير القرآني لعبد العظيم المطعني ٣٢/٢

(٢) حاشية الدسوقي على شرح السعد ٩٩/١.

(٣) الكشاف ٣٧٤/٣.

(٤) خصائص التركيب للدكتور/ محمد أبو موسى ١٧٨.

(٥) يُنظر المثل السائر ٨٧/٢.

(٦) تأويل مشكل القرآن ٢٢٦.

الحديث عن القرآن وعن الأرض، فقد أضمرت الأرض في شواهد عديدة منها قوله تعالى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ }[النحل:٦١] فالضمير في قوله: (عليها) عائد على الأرض وإنْ لم يجر لها ذكر؛ لأنَّ السياق يدل عليها، وكذلك لفظ (دابة) يدل عليها، فقد قرن بين الآيتين ابن عطية وابن عاشور(١)، وكذلك قوله تعالى: {فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا}[العاديات:٤] فالضمير هنا عائد إلى شيء غير مذكور، ولكن السياق يدل على أنَّ المقصود هو المكان(٢)، **أي:** الأرض التي يجري عليها الخيل أو الإبل.

وإضمار القرآن ورد في أربع آيات منها قوله تعالى: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا} [مريم:٩٧]، فالضمير المتصل بفعل التيسير عائد إلى القرآن(٣)، وورد في قوله تعالى: {لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِه} [القيامة:١٦]، فالمقصود به القران الكريم(٤)، فنلحظ في الآيتين ذكر خصائص تدل على القرآن، منها: ذكر اللسان، وذكر الهدف من إنزاله عليه وهو البشارة والنذارة، وتيسره على لسانه، وأتبعها بما يدل على أنَّه المقصود، فذكر الغرض والتوصيف يرشدان إلى المضمر فيُغني عن ذكره، وهو نوع من الإيجاز، وورد في غير هاتين الكلمتين في مواضيع شتى **منها:** الحديث عن البشر باختلاف أصنافهم وأوصافهم، فقد أضمر الحديث عن ابن آدم والإنسان وعن المنافقين والمشركين وورد إضمار الجن والشياطين والحور العين والذهاب والروح، وقد يكون في المعنويات كالوصل والذهاب، ومن شواهدها قوله تعالى: {فَبِأَيِّ آلاَء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان}[الرحمن:١٣]، للعلماء في توجيه خطاب التثنية آراء مختلفة وجهت بها الآية منها: أن المراد بالخطاب الإنس، ولكن عادة العرب أن تخاطب الشخص الواحد بخاطب الاثنين، ونسب المفسرون إلى عبد القاهر أنّه يرى أنَّ الجن داخلون في

(١) المحرر الوجيز ٣٧٣/١٤، والتحرير والتنوير ١٤/ ١٨٨.

(٢) تفسير القرطبي ٤٣٤/٢٢.

(٣) المحرر الوجيز ٧٥/١٦، والتحرير والتنوير ١٦/ ١٧٦.

(٤) يُنظر المحرر الوجيز ٤٧٦/٢٩.

الخطاب وإن لم يُصرح بهم؛ فهو انطلق في تفسيره هذا من أن القرآن كالسورة الواحدة، فالجن مكلفون بنص آيات أخرى وسور سابقة فيكونون معنيين بهذا الخطاب في آية الرحمن، والآية وإن كان فيها ذكر للإنس وحدهم إلا أن الجن داخلون في الخطاب، وأكّد رأيه بأنَّ هذا أسلوب عربي بالاستشهاد له بآية سورة (ص)[١]، وهو رأي ذكره ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن[٢]، وكذلك قوله تعالى: {إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء} [الواقعة:٣٥]، فقد ذكر ابن عطية أنَّ هذه الآية لا علاقة لها بما سبق من الآيات التي ورد فيها ذكر الحور؛ وأنَّ الضمير عائد إليهن وإن لم يجر لهن ذكر؛ لأنَّ سياق الكلام يدل على أنهن المقصودات بالحديث[٣] كما في الاستئناف الوارد في قوله تعالى: {وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}، [الإسراء:١٠٥] فقد ذكر ابن عطية رأيين في مسألة عود الضمير في قوله: (به)، الأول: أنَّ المراد به القرآن، وقد صُرح به في آية سابقة، وهي قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا}، [الإسراء:٨٩] .

والثاني: أنه يجوز أن يكون مستأنفاً ابتداءً، وليس له علاقة بما سبق، وأحال في تقرير هذا التحليل على آية سورة (ص)[٤].

وسأذكر الآيات الأخرى مع بيان من ذكرها من المفسرين:

- قوله تعالى: {وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُون} [البقرة:٥١] ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ١/ ٣٢٤.
- قوله تعالى: {قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِين} [البقرة:٩٧] ذكرها ابن عاشور في التحرير والتنوير ٦٢١/١.

(١) البسيط للواحدي ٢١/ ١٤٩، وتفسير القرطبي ١٢٣/٢٠.
(٢) تأويل مشكل القران ٢٢٨.
(٣) يُنظر المحرر الوجيز ١٩٩/٢٧، والتحرير والتنوير ٣٠١/٢٧.
(٤) المحرر الوجيز ٥٥٥/١٥.

- قوله تعالى: {خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُون} [البقرة:١٦٢] ذكرها ابن عاشور في التحرير والتنوير ٢/ ٧٣.
- قوله تعالى: {وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ} [النساء:١١] ذكرها القرطبي في تفسيره ١١٣/٦.
- قوله تعالى: {وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ} [النساء:٨٣] ذكرها ابن عاشور في تفسيره ١٣٩/٥.
- قوله تعالى: {مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلا} [النساء:١٤٣] ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ١١٠/٤.
- قوله تعالى: {اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [المائدة:٨] ذكرها ابن عاشور في تفسيره ١٣٥/٦.
- قوله تعالى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُون} [الأنعام:٩٤] ذكرها ابن عاشور ١٨٨/١٤..
- قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون} [الأنعام:١٠٥] ذكرها القرطبي في تفسيره ٤٨٩٩/٨.
- قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيد} [الحج:١٦] ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ١٧/ ١٢٤ ، وأبو حيان في البحر المحيط ٤٩٣/٧.
- قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِين} [المؤمنون:١٣] ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ١٧/ ١٢٤، والبحر المحيط ٤٩٣/٧ والقرطبي في الجامع لأحكام القران ١٧/١٥.
- قوله تعالى: {قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لاَ مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَار} [ص:٦٠] ذكرها ابن عاشور في تفسيره ٢٩٠/٢٣.

- قوله تعالى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُون} [الجاثية:٢١] ذكرها الطيبي في فتوح الغيب ٢٤٩/١٤.
- قوله تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَان} [الرحمن:٢٦] ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ١٧٠/٢٧ وابن عاشور في التحرير والتنوير ٢٥٢/٢٧.
- قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيم} [الواقعة:٧٦] ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ٩٢/١٠.
- قوله تعالى: {فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُوم} [الواقعة:٨٣]، ذكرها ابن عاشور في تفسيره ٣٤٤/٢٧.
- قوله تعالى: {كَلاَّ إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِي} [القيامة:٢٦]، ذكرها الواحدي في تفسيره المسمى بالوسيط ٥١٤/٢٢ والقرطبي في تفسيره ٤٣٣/٢١.
- قوله تعالى: {عَمَّ يَتَسَاءلُون} [النبأ:١] ذكرها ابن عاشور في تفسيره ٩/٣٠.
- قوله تعالى: {وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا} [الشمس:٣] ذكرها القرطبي في تفسيره ٣١٠/٢٢.

وكان أكثر المفسرين استشهاداً بها ابن عاشور وأبو حيان والقرطبي ثم ابن عطية كما ظهر في الجدول السابق.

وهذا الأسلوب له شواهد كثيرة في القرآن إلا أنني اقتصرت على ما جُعلت آية سورة (ص) هي الأصل الذي يُحال عليه؛ لأنَّها الأصل في هذا الأسلوب عند المفسرين وغيرهم، وما ورد في الاستشهاد بغيرها هو أقل منها، فقد ذكر أنَّ الضمير في قوله تعالى: {فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا} [طه:١٠٦] يعود على الأرض وإن لم يسبق ذكرها، واستشهد لها البيضاوي بقوله تعالى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ} [النحل:٦١] (١).

الآية الثانية. قوله تعالى: {وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِين} [التوبة:٦٢]، هذه الآية ذكرها المفسرون في ثلاثة أساليب، واتخذوها أصلاً لثماني

(١) تفسير البيضاوي ٤/ ٣٩.

عشرة آية، والاستشهاد بها كان قبل أن يؤسس علم البلاغة[1]، وهذه الأساليب هي:

الأسلوب الأول: وردت هذه الآية أصلاً في حذف المسند؛ في الأساليب المكونة من جملتين إحداهما مكتملة الأركان والأخرى حُذف منها المسند، فيذكرون أنَّ الخبر حُذف من الثانية لدلالة الخبر عليه في الجملة الأولى، والعكس ورد، وأحالوا لها في هذا الأسلوب أربعة شواهد منها قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيم}[الحج:٥٢]، موطن الشاهد في هذه الآية قوله: {تَمَنَّى} فأصلها: وما أرسلنا من رسول إلا إذا تمنى، وما أرسلنا من نبي إلا إذا تمنى، فحذف الخبر من الثاني لدلالة الأول عليه[2]، واللغة مبنية على الإيجاز.

وقوله تعالى: {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيد} [ق:١٧]، فأصل الكلام: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، ولكنه حُذف من الأول لدلالة الثاني عليه [3].

وسأذكر الآيات الأخرى مع بيان من ذكرها من المفسرين:

- قوله تعالى: {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِين} [الأنبياء:٩١] ذكرها الشوكاني في فتح القدير ٣/ ٥٠٢.
- قوله تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُّبِين} [سبأ:٢٤] ذكرها الشوكاني ٣٧٤/٤.

الأسلوب الثاني: هذه الآية ذكرها المفسرون في أساليب أخرى ذكرتها هنا جمعاً للكلام حول آية واحدة في موطن واحد، فقد ذكر البيضاوي وغيره أنَّ في

(١) معاني القرآن للفراء ٤٣٤/١، وتأويل مشكل القرآن ٢٨٨.

(٢) حاشية الشهاب ٦/ ٣٠٥.

(٣) الهداية في بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب ١١/ ٧٠٣٨.

تقديم لفظ الجلالة تفخيم وتعظيم لأمر الرسول فيه، وهذا الغرض مع هذا التقديم ذكر في آيات كثيرة قرنها بعض المفسرين بالآية الأصل منها قوله تعالى: {مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ} [البقرة:٩٨] (١).

ومن الشواهد من هذا الأسلوب قوله تعالى: {وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ} [الأنفال:٤١] (٢).

الأسلوب الثالث: وردت كذلك في أسلوب التعبير بواحد من المفرد والمثنى والمجموع والمراد الآخر، وهو من أساليب خلاف مقتضى الظاهر التي لم تشتهر كما قال السبكي(٣)، وهو نوع من أنواع المجاز(٤)، ومن صوره أن يفرد الضمير الدال على متعاطفين متلازمين، فأحدهما تبع للآخر في معنى من معانيه، فإذا ذكر أحدهما وهو الأشمل في الغالب دل على الآخر، ففي الآية حذف خبر الرسول؛ لأنّه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله، فرضاهما شيء واحد(٥)، فهذه الآية اتخذها المفسرون أصلاً في مسألة توحيد الضمير، فالضمير يعقب الحديث عن أمرين أو شخصين أو أكثر من ذلك، ويأتي مع ذلك مفرداً خلاف الأصل، وهذا الأسلوب موجود في القرآن بكثرة، واتخذت آية التوبة السابقة أصلاً يُحيلون عليه، منها اللصيق بالموضوع كما في قوله تعالى: {وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ}[النور:٤٨]، فأصل الكلام: وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكما بينهما، ولكن أفرد؛ لأن حكم الرسول تبع لإرادة الله وحكمه(٦).

---

(١) تفسير البيضاوي ٩٦/١، ويُنظر تفسير أبي السعود ١٩٧/١.

(٢) تفسير أبي السعود ١٠٨/٣.

(٣) شروح التلخيص ١/ ٤٩٢.

(٤) درج الدرر ١/ ١٦١.

(٥) يُنظر الإيضاح في علوم البلاغة شرح وتعليق الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجي ٢/ ١٠٤.

(٦) الدر المصون ٨/ ٤٢٦.

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا وَأَنتُمْ تَسْمَعُون} [الأنفال:٢٠] موطن الشاهد في هذه الآية قوله:{عَنْهُ}، فللمفسرين تأويلات مختلفة، فمنهم من أرجع الضمير إلى النبي ﷺ وحده، وهو الأقرب، ومنهم من رأى أنَّ المراد مرتبط بالطاعة، فلكون طاعتهما متلازمة فمرجع الضمير يعود لهما وإن أفرد، ودلل لقوله بآية التوبة[١]، فنلحظ أنَّ اقتران الحديث عن الله ﷻ ورسوله ﷺ كثيراً ما يُوحد فيها الضمير.

وقد يكون الجامع بين الآيتين الأسلوب دون الموضوع كما في قوله تعالى: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم} [البقرة:٣٧] ، فهذه الآية أتت في سياق الحديث عن عصيان آدم عليه السلام وزوجه حواء لربهما، وذكر الله ﷻ توبتهما مما وقع منها، فأصل الكلام أن يُقال: (فتاب عليهما) ولكنَّه ذكره بالإفراد اختصاراً كما ذكر أبو حيان[٢]، والحديث عنهما ورد في موطن آخر بتركيب مقارب نُص فيه على توبة آدم وحده دون ذكره حواء لاندراجها تحت خطاب آدم وفق أسلوب آية توبة، وهو قوله تعالى: {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} [طه:١٢٢].

وقوله تعالى: {وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِين} [البقرة:٤٥]، فالضمير جاء مفرداً بصيغة التأنيث، ولم يقل: (وإنهما)، وللمفسرين آراء كثيرة ذكرها البغوي، وكل رأي استند إلى شاهد قرآني أو شعري، ومنها أنَّ المراد الاثنان، ولكنَّه حذف ضمير الصبر اختصاراً كحذف المسند في الآية الأصل[٣]، والفارق بينهما في الموضع الإعرابي، فهي في هذه الآية اسم (إن)، وبعض المفسرين ذكر أنَّ الغرض من الاقتصار على أحدهما هو العموم وليس الإيجاز، فالصبر داخل في الصلاة، فهو لذا أشمل، وقرنها بقوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ

(١) تفسير النيسابوري ٣/ ٣٨٧، وفتح القدير ٢/ ٣٤٠.

(٢) البحر المحيط ١/ ٢٦٨.

(٣) معالم التنزيل ٨٩/١.

الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}[التوبة:٣٤]، وقد يعكس الاقتران بين الآيتين بحسب الموضع للدلالة على العموم(١)، فموطن الشاهد في آية التوبة نفي الإنفاق فيهما، فقد جاءت بصيغة الإفراد رغم أنَّ العذاب هُدد به من امتنع عن إنفاقهما معاً، وقيل: أنَّ الفضة أعم من الذهب(٢)، أو أنها أكثر استعمالاً منها فمن يملك الفضة أكثر ممن يملك الذهب، والزمخشري ذكر في أحد الآراء التي نقلها أنَّه يمكن أن تكون وفق أسلوب الشاعر: فإني وقيارٌ بها لغريب، أي: وقيار كذلك، فيصبح التقدير: ولا ينفقونها **أي**: الفضة، والذهب لا ينفقونه(٣) وفق الأسلوب الأول.

وقد يُسبق الضمير المفرد بمجموع كان حقه أن يُجمع معها ولكنه أفرد لغرض بلاغي، وربط بآية التوبة الأولى كقوله تعالى: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُم بِهِ} [الأنعام:٤٦]، فشبه الجملة الجار والمجرور في قوله: {بِهِ} أتى مفرداً مذكراً، فكان الأصل أن يُقال: (بها) ليعود على ما سبق ذكره من السمع والبصر والختم على القلوب، ولكنه عُبر عنها اختصاراً بعود الضمير على السمع، وذكر أنَّ هذا الضمير عائد إليه فقط، وذكر أنها كآية التوبة التي اندرج فيها رضا الرسول تحت رضا الله (٤).

وسأذكر الآيات الأخرى مع بيان من ذكرها من المفسرين:

- قوله تعالى: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِين} [آل عمران:٦٨] ذكرها الألوسي في روح المعاني ١٩٧/٣.
- قوله تعالى: {إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوَءٍ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا} [النساء:١٤٩] ذكره الطيبي في فتوح الغيب ٢١١/٥.

---

(١) تفسير البغوي ٤١/٤.

(٢) المصدر السابق ٤٣/٤.

(٣) الكشاف ٢/ ١٨٧.

(٤) تفسير البغوي ١٤٤/٣.

- قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِين} [الأنعام:١٤١]، ذكرها الرازي في التفسير الكبير ٢٢٣/١٣ وأبي السعود ٤٨٩/٢.
- قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون} [يونس:٥]، ذكرها الرازي في التفسير الكبير ١٧/ ٣٧ والبغوي في معالم التنويل ١٢١/٤ وابن عطية في المحرر الوجيز ٤٥٢/١١.
- قوله تعالى: {وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُون} [النور:٤٨] ذكرها الشوكاني في فتح القدير ٥٢/٤.
- قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم} [الشورى:٥٢] ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ٣٥٢/٩ والسمين الحلبي في الدر المصون ٥٦٨/٩.

وبعض المفسرين تجاوز الاستدلال بها للآيات القرآنية إلى الحديث الشريف فذكرها في تفسيره لقوله ﷺ "إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال" [(١)]، فذكر أن العقوق يشمل الأمهات والآباء الذين اندرجوا تحت هذه الجملة، وربطها بما في آية التوبة[(٢)].

الآية الثالثة: قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون} [البقرة:٥]، فهذه الآية تميز ابن عاشور في إيرادها كأصل في أسلوبين من أساليب

(١) رواه البخاري في كتاب الوكالة: باب (ما يُنهي عن إضاعة المال) ٣/ ٣٥٥-٣٥٦، رقم (٢٤٢٠) عن المغيرة بن شعبة.

(٢) روح البيان ٣/ ٣١١.

الكلام، فمجموع ما وقفت عليه من الآيات التي أُحيلت عليها اثنتان وسبعون آية، ذكر ابن عاشور تسعاً وستين آية منها، والأسلوبان هما:

الأسلوب الأول: تعريف المسند إليه باسم الإشارة، وله أغراض كثيرة منها: التنبيه على أنَّ ما بعد اسم الإشارة جدير باكتساب الفضل أو الوعيد الذي أتى بعده؛ لأنَّه سبق بصفات متعددة تدل على استحقاقه لهذا التكريم أو العذاب، وشاهده الرئيس الذي أكثر المفسرون من ذكره وتحديداً ابن عاشور الأصل السابق، ووجدت أنَّ المفسرين استشهدوا بها لسبع وأربعين آية في مواضيع مختلفة منها الآيات التي تبين استحقاق الله ﷻ للعبادة وحده، فهذه الآيات عادة ما تذكر دلائل استحقاقه للعبادة من خلق السموات والأرض والجبال والقدرة على الإحياء والإماتة واستغنائه عن البشر كما في قوله تعالى: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم، ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيل}[الأنعام١٠١،١٠٢]، فاسم الإشارة مسبوق بصفات كثيرة تدل على استحقاقه للعبادة وحده دون غيره، ثم عُقبت هذه الصفات باسم الإشارة الدال على البعد المفيد لاستحقاق إفراده بالعبادة.

واستشهد بها في الآيات التي تحث على فعل الخيرات والإكثار من الأعمال الصالحة كقوله تعالى: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُون}[البقرة:١٧٧]، فاسم الإشارة مسبوق بعشر صفات اتصف بها أولي البر استحقوا لأجلها الوصف بالصدق وبالتقوى(١).

(١) البحر المحيط ٢/ ١٤١.

وورد في الحديث عن طوائف المنافقين واليهود الذين كذبوا بالحق ولم يؤمنوا بالرسول ﷺ، فكثير من هذه الآيات تذكر شيئاً من أوصافهم السيئة ثم تعقب باسم الإشارة المقرون بالتهديد والوعيد لهم كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم} [البقرة:١٧٤]، فاسم الإشارة مسبوق بمجموعة من الصفات التي اتصف بها أحبار اليهود ككتمانهم صفة النبي ﷺ التي وردت في كتبهم حسداً له، وأخذوا مقابل هذا الكتمان شيئاً من الدنيا، فذكر أنَّ ما أخذوه سيكون ناراً في بطونهم، وابتدأ باسم الإشارة الدال على استحقاقهم لهذا العذاب(١).

وسأذكر الآيات الأخرى مع بيان من ذكرها من المفسرين:

- قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين} [الفاتحة:٥] ذكرها الطيبي في فتوح الغيب ١٠٥/٢.
- قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِين} [البقرة:١٦] ذكرها الطيبي في فتوح الغيب ٢١٤/٢، وابن عاشور في التحرير والتنوير ٢٩٧/١.
- قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُون} [البقرة:٨٦] ذكرها ابن عاشور في تفسيره ٥٩١/١.
- قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيم} [البقرة:١١٤] ذكرها ابن عاشور في تفسيره ٦٨٠/١.
- قوله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُون} [البقرة:١٢١] ذكرها ابن عاشور ٦٩٦/١.

(١) المصدر السابق ٢/ ١٢٠، والتحرير والتنوير ٢/ ١٢٣.

- قوله تعالى: {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون} [البقرة:١٥٧] ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ٥٨/٢، وابن عاشور ٥٧/٢.
- قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُون} [البقرة:١٥٩] ذكرها ابن عاشور ٦٧/٢.
- قوله تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون} [آل عمران:١٠٤] ذكرها ابن عاشور ٤٢/٤.
- قوله تعالى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوَءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيما} [النساء:١٧] ذكرها ابن عاشور ٢٧٩/٤.
- قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُون} [الأنعام:٨٢] ذكرها ابن عاشور في ٣٣٣/٧.
- قوله تعالى: {ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيل} [الأنعام:١٠٢] ذكرها ابن عاشور ٤١٢/٧.
- قوله تعالى: {فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون} [الأعراف:١٥٧] ذكرها ابن عاشور ١٣٨/٩.
- قوله تعالى: {ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُون} [يونس:٣] ذكرها ابن عاشور ٨٨/١١.
- قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُون} [يونس:٨] ذكرها ابن عاشور ١٠٠/١١.
- قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون} [يونس:٢٧] ذكرها ابن عاشور ١٤٧/١١.
- قوله تعالى: {إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِير} [هود:١١] ذكرها ابن عاشور ١٥/١٢.
- قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُون} [هود:١٦] ذكرها ابن عاشور ٢٥/١٢.

- قولـه تعـالى: {وَمَـنْ أَظْلَـمُ مِمَّـنِ افْتَـرَى عَلَـى اللّـهِ كَـذِبًا أُوْلَئِـكَ يُعْرَضُـونَ عَلَـى رَبِّـهِمْ} [هود:١٨] ذكرها ابن عاشور ٣٢/١٢.
- قوله تعالى: {وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيد} [هود:٥٩] ذكرها الطيبي في حشيته على الكشاف ١٧٧/٨ وابن عاشور ١٠٥/١٢.
- قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّار} [الرعد:٢٢] ذكرها ابن عاشور ١٢٤/١٣.
- قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُون} [المؤمنون:١٠] ذكرها ابن عاشور ٢٠/١٨.
- قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُون} [النمل:٥] ذكرها ابن عاشور ٢٢٢/١٩.
- قولـه تعـالى: {أُوْلَئِـكَ يُؤْتَـوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَـا صَـبَرُوا وَيَـدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّـا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُون} [القصص:٥٤] ذكرها ابن عاشور ١٨٩/١٩.
- قوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم} [العنكبوت:٢٣] ذكرها ابن عاشور ٢٣٣/٢٠.
- قولـه تعـالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّـهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُون} [العنكبوت:٥٢] ذكرها ابن عاشور ١٧/٢١.
- قوله تعالى: {فَأُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُون} [الروم:١٦] ذكرها ابن عاشور ٦٤/٢١.
- قوله تعالى: {ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيم} [السجدة:٦] ذكرها ابن عاشور ٢١٤/٢١.
- قولـه تعـالى: {لَـمْ يُؤْمِنُـوا فَـأَحْبَطَ اللَّـهُ أَعْمَـالَهُمْ} [الأحـزاب:١٩] ذكرهـا ابـن عاشـور ٢٩٨/٢١.
- قوله تعالى: {فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُون} [سبأ:٣٧] ذكرها ابن عاشور ٢١٧/٢٢.
- قولـه تعـالى: {وَالَّـذِينَ يَـسْعَوْنَ فِـي آيَاتِنَـا مُعَـاجِزِينَ أُوْلَئِـكَ فِـي الْعَـذَابِ مُحْـضَرُون} [سبأ:٣٨] ذكرها ابن عاشور ٢١٨/٢٢.
- قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُوم} [الصافات:٤١] ذكرها ابن عاشور ١١١/٢٣.

- قوله تعالى: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُون} [الزُّمَر:٦] ذكرها ابن عاشور ٣٣٥/٢٣.
- قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِين} [الزُّمَر:٢٢] ذكرها ابن عاشور ٣٨٢/٢٣.
- قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيد} [فُصِّلَت:٤٤] ذكرها ابن عاشور ٣١٦/٢٤- ٣١٧.
- قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون} [الأحقاف:١٤] ذكرها ابن عاشور ٢٧/٢٦.
- قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِين} [الأحقاف:٣٢] ذكرها ابن عاشور ٦٢/٢٦.
- قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُون} [الواقعة:١١] ذكرها ابن عاشور ٢٨٨/٢٧.
- قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا} [الحديد:١٠] ذكرها ابن عاشور ٣٧٦/٢٧.
- قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّين} [المجادلة:٢٠] ذكرها ابن عاشور ٥٦/٢٨.
- قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِير} [التغابن:١٠] ذكرها ابن عاشور ٢٧٧/٢٨.
- قوله تعالى: {أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُون} [المعارج:٣٥] ذكرها ابن عاشور ١٧٥/٢٩.
- قوله تعالى: {ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا} [النبأ:٣٩] ذكرها ابن عاشور ٥٤/٣٠.
- قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّة} [البيِّنة:٦] ذكرها ابن عاشور ٤٨٤/٣٠.

الأسلوب الثاني: هذه الآية ذكرها المفسرون في أسلوب الاستعارة التبعية في الحرف (على)، وأكثر البلاغيون والمفسرون من تحليل هذه الآية وأدخلوها في أربعة أنواع من الاستعارة هي: الاستعارة المكنية بتشبيه الهدى بالمركوب، ثم حُذف المشبه به ورمز له بلازم من لوازمه وهو الاعتلاء، وهو مذهب ابن يعقوب

المغربي، وقيل: إنَّه شبه تمسك المتقين بالهدى باعتلاء الراكب في التمكن والاستقرار، فتكون استعارة تصريحية تبعية، وهو مذهب الجمهور، وقيل: إنَّ التشبيه في الهيئة لا في المفردات، فقد شبَّه هيئة مركبة من المتقين والهدى وتمسكهم به ثابتاً مستقراً بهيئة مركبة من الراكب والمركوب واعتلائه عليه متمكناً منه، فتكون من أسلوب الاستعارة التمثيلية التعبية، وهو مذهب السعد[1]، وقيل: إنه يمكن أن تكون استعارة تبعية أو تمثيلية وهو مذهب السيد الجرجاني، والسيالكوتي مال إلى أنها استعارة تمثيلية تبعية مستشهداً برأي الطيبي في تحليله لهذه الآية، وقرر أن كل استعارة تبعية هي تمثيلية في الوقت ذاته مستشهداً بالاستقراء وبرأي السكاكي[2]، ووجدت أن المفسرين وأكثرهم ابن عاشور استشهدوا بها في ستة وعشرين موضعاً، والجامع بينها هو التدليل على معنى التمكن من الشيء الذي أُضيفت إليه، منها قوله تعالى: {سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم} [البقرة:١٤٢] موطن الشاهد في هذه الآية قوله: (عليها) أُتي بها للتدليل على التمكن المجازي[3].

وقوله تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُون} [المائدة:٧٨] فموطن الشاهد (على) الدال على تمكن الملابسة[4].

وكثر في القران ارتبط حرف الجر (على) بكلمة (الصراط) للدلالة على التمكن من الحق والثبات عليه كما في قوله تعالى: {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم} [الزُخرُف:٤٣] [5].

(١) يُنظر التصوير المجازي والكنائي للدكتور/ صلاح الدين محمد أحمد ١١٦.
(٢) المطول حاشية السيالكوتي على كتاب المطول ٥١٨، وينظر فتوح الغيب ٢/ ١٠٩.
(٣) التحرير والتنوير ٢/ ٩.
(٤) المرجع السابق ٦/ ٢٩٢.
(٥) المرجع السابق ٢٥/ ٢١٩.

وسأذكر في الآيات الأخرى مع من ذكرها من المفسرين، وأكثرهم هو ابن عاشور كما سيأتي.

- قوله تعالى: {وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ} [البقرة:١٧٧] ذكرها ابن عاشور ١٣٠/٢.
- قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ} [المائدة:١٠٤] ذكرها ابن عاشور ٧٦/٧.
- قوله تعالى: {ذَلِكَ أَدْنَى أَن يَأْتُواْ بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا} [ا المائدة:١٠٨] ذكرها ابن عاشور ٩٣/٧.
- قوله تعالى: {كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُون} [الأنعام:١٢٥] ذكرها ابن عاشور ٦١/٨.
- قوله تعالى: {وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون} [الأعراف:٥٢] ذكرها ابن عاشور ١٥٢/٨.
- قوله تعالى: {وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَام} [الأنفال:١١] ذكرها الطيبي في حاشيته على الكشاف ٥٢/٧.
- قوله تعالى: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ} [التوبة:١٧] ذكرها ابن عاشور ١٤١/١٠.
- قوله تعالى: {إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم} [هود:٥٦] ذكرها ابن عاشور ١٠٠/١٢.
- قوله تعالى: {عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِين} [الشعراء:١٩٤] ذكرها ابن عاشور ١٨٩/١٩.
- قوله تعالى: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى} [النمل:٥٩] ذكرها ابن عاشور ٧/٢٠.
- قوله تعالى: {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} [الروم:٣٠] ذكرها ابن عاشور ٩٠/٢١.

- قوله تعالى: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ} [الأحزاب:٣٧] ذكرها ابن عاشور ٣٢/٢٢.
- قوله تعالى: {عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [يس:٤] ذكرها ابن عاشور ٣٤٦/٢٢.
- قوله تعالى: {وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ} [ص:٦] ذكرها ابن عاشور ٢١١/٢٣.
- قوله تعالى: {أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ} [الزُّمَر:٢٢] ذكر النيسابوري (غرائب القران ورغائب الفرقان) ٦٢٢/٥، وابن عاشور ٣٨١/٢٣.
- قوله تعالى: {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الزُّخرُف:٤٣] ذكرها ابن عاشور ٣١٦/٢٤.
- قوله تعالى: {بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُون} [الدخان:٩] ذكرها ابن عاشور ٢٨٥/٢٥.
- قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ} [الجاثية:١٨] ذكرها ابن عاشور ٣٤٧/٢٥.
- قوله تعالى: {أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُم} [محمد:١٤] ذكرها ابن عاشور ٩٣/٢٦.
- قوله تعالى: {وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُون} [المجادلة:١٨] ذكرها ابن عاشور ٥٢/٢٨.
- قوله تعالى: {عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ} [التحريم:٦] ذكرها ابن عاشور ٣٦٦/٢٨.
- قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم} [القلم:٤] ذكرها ابن عاشور ٦٣/٢٩.
- قوله تعالى: {أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى} [العلق:١١] ذكرها ابن عاشور ٤٤٨/٣٠.

**

المبحث الثاني

شواهد صور خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر

لخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر صور متنوعة أوصلها البلاغيون إلى تسع صور(١)، وسأذكر من الشواهد ما قرر المفسرون أنّه أصل في بابه ووجدت أنها ثماني آيات لأربعة أساليب **هي:**

الآية الأولى: قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ [يونس:٢٢]، فهذه الآية عُدت الأصل في أسلوب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة، فلا يخلو مصنف لغوي أو بلاغي أو من كتب علوم القرآن من إيراد هذا الشاهد في تأصيله لأسلوب الالتفات، وينطلقون منها لإيضاح الأسلوب، فكانت ترد في رأس الحديث عن أسلوب الالتفات، ومن أقدم من ذكرها أبو عبيدة معمر بن المثنى(٢)، وتبعه اللغويون والمفسرون في إيرادها(٣)، وأكثروا من الإحالة إلى هذه الآية ، فوصلت – فيما وقفت عليه– إلى أربع وعشرين آية، والغرض من العدول أنّه ذكر لغيرهم حالهم ليُعجبهم منها، ويستدعي منهم الإنكار عليهم(٤)، وانفرد الطبري بمجموعة من الآيات التي أحال فيها على الآية الأصل، ومن الشواهد قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللّهِ مَفْعُولا}[النساء:٤٧]، فموطن الشاهد في هذه الآية قوله: { أَوْ نَلْعَنَهُمْ} فأصل الكلام: أو نلعنكم كما لعنا...(٥)، والمقصود من الالتفات تحذير اليهود من المصير الأليم الذي حاق بأسلافهم، فهم يعرفون ما

---

(١) البلاغة العربية (أسسها، وعلومها، وفنونها) للدكتور/ عبد الرحمن الميداني.

(٢) مجاز القرآن ١١/١.

(٣) تفسير الطبري ١٥٠/١، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٣/٣.

(٤) يُنظر المثل السائر ١٠/٢.

(٥) تفسير الطبري ١١٩/٧.

جرى عليهم بخلاف ما لو هددوا بشيء لم يعرفوه، فربما لا يكون له من الأثر ما للسابق.

وأتت استشهاداتهم في إطار حمل الآية على أكثر من وجه كما في قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا } [البقرة:١٧٠]، ذكر المفسرون في مرجع الضمير في قوله: { لَهُمُ} رأيين كليهما يعود إلى آيات سابقة، فمنهم من ربطها بأسلوب قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ }[البقرة:١٦٥] فتكون جارية وفق أسلوب الغيبة، والرأي الثاني وهو موطن الشاهد فقد ربطت بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِين} [البقرة:١٦٨]، ويكون وفقاً لهذا الربط انتقال من الخطاب إلى الغيبة [1].

وسأذكر الآيات الأخرى مع بيان من ذكرها من المفسرين:

- قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين} [الفاتحة:٥] ذكرها الطبري ١٥٦/١، والنسفي ٣١/١، وأبي السعود ٣٠/١.
- قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً} [البقرة:٨٣] ذكرها الرازي في التفسير الكبير ١٨٠/٣.
- قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ} [البقرة:٩٣] ذكرها مكي بن أبي طالب في الهداية إلى بلوغ النهاية ٣٥٢/١.
- قوله تعالى: {أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ} [البقرة ١٤٠] ذكرها الطيبي في حاشيته على الكشاف ١٢٧/٣.
- قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُون} [البقرة:١٧٠] ذكرها الطبري ٤١/٣.

(١) المصدر السابق ٣/ ٤١.

- قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ} [البقرة:٢٦٤] ذكرها الرازي ٥٩/٧.
- قوله تعالى: {وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُون} [البقرة:٢٨١] ذكرها السمين الحلبي في الدر المصون ٦٥٠/٢.
- قوله تعالى: {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَاد} [آل عمران:٩] ذكرها الرازي ١٩٧/٧.
- قوله تعالى: {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاء إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الأَبْصَار} [آل عمران:١٣] ذكرها الطبري ٢٥٠/٥، وأبو حيان في البحر المحيط ٤٧/٣، والقرطبي في الجامع لأحكام القران ٢٦/٤.
- قوله تعالى: {إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُم} [آل عمران:٥٥] ذكرها الطبري ٤٥٦/٥.
- قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ}[النساء:٤٧] ذكرها الطبري ١١٩/٧، ومكي بن أبي طالب في الهدية ١٣٤٩/٢.
- قوله تعالى: {مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا} [النساء:٧٩] ذكرها مكي بن أبي طالب ١٣٩٥/٢.
- قوله تعالى: {أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ} [الأنعام:٦] ذكرها الطبري ١٥٦/٩، والبغوي في معالم التنزيل ١٢٨/٢.
- قوله تعالى: {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُون} [الأعراف:١٩٠] ذكرها الطبري ٦٢٧/١٠.

- قوله تعالى: {قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُون} [الأنبياء:٤٢] ذكرها ابن عاشور ٧٥/١٧.
- قوله تعالى: {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيد} [الحج:٢] ذكرها الواحدي في التفسير البسيط ٢٤٦/١٥.
- قوله تعالى: {إِنْ حِسَابُهُمْ إِلاَّ عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُون} [الشعراء:١١٣] ذكرها القرطبي ١٢١/١٣ والطيبي في حاشيته على الكشاف ٣٥١/١٠.
- قوله تعالى: {وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُون} [الروم:٣٩] ذكرها القرطبي ١٦/ ٤٤١ والواحدي في التفسير البسيط ٦٨/١٨.
- قوله تعالى: {فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِين} [الزُّخرُف:٨] ذكرها النيسابوري في تفسيره ٨٦/٦.
- قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيم} [الأحقاف:١١] ذكرها القرطبي ١٩١/١٩ والواحدي في التفسير البسيط ١٧٢/٢٠.
- قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ} [الطلاق:١] ذكرها مكي بن أبي طالب في الهداية ١٢/ ٧٥٢٠ والقرطبي ١٤٨/١٨.

<u>الآية الثانية:</u> قوله تعالى: {يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس وَالْحَجِّ } [البقرة:١٨٩] هذه الآية اتخذت الأصل في تأصيل أسلوب الحكيم فلا يخلو مؤلف بلاغي من ذكرها، ووجدت المفسرين يجعلونها أصلاً في هذا الأسلوب، وكلهم من المتأخرين كالشهاب الخفاجي والقاسمي وابن عاشور، فهذا الأسلوب كما ذكرت في التمهيد لم يرد عند قدماء المفسرين، وأحالوا عليها خمسة شواهد أكثرها بُدئ بفعل السؤال كما في قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا

أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلا}[الإسراء:٨٥] فقد ربطها الخفاجي بآية البقرة، فهؤلاء سألوا عن ماهية الروح، ولكن لم يُجابوا عن سؤالهم، وإنما بين لهم أنَّ علمها عند الله ﷻ(١).

وقوله تعالى: {يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّين. يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُون} [الذاريات١١-١٢] فهؤلاء سألوا عن ميعاد يوم القيامة فجاء الجواب تهكم بهم؛ لأن سؤالهم مبني على الاستحالة والتهكم(٢).

وقوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيم} [البقرة:٢١٥](٣)، وهي من الآيات التي أكثر البلاغيون من الاستشهاد بها مع الآية الأصل في تقعيدهم لهذا الأسلوب.

وأحيل لها في مجاراة المخاطب لبيان خطئه في آيتين **هما:** قوله تعالى: {أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُم بِهِ آلآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُون} [يونس:٥١]، ذكر ابن عاشور أنَّ الاستفهام في قوله: {أَثُمَّ} للإنكار تغليظاً عليهم وإفساداً لرأيهم، فإنَّ هؤلاء لفساد رأيهم وشدة شكيمتهم في كفرهم وعدوا أنهم سيؤمنون إذا رأوا العذاب رأي العين استهزاءً منهم، فجاء الجواب مجاراة لهم لتبيان خطئهم، وقرنها بآية البقرة الأولى(٤)، والجامع بينهما في الأسلوب والغرض.

وقوله تعالى: {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر} [الكوثر:٣] كان المشركون يصفون النبي ﷺ بأنه أبتر، وهو الذي لا ذرية له، فكان الرد على هذا المعير بأنَّه هو الأبتر بحمل كلامه على خلاف مراده، وأحال ابن عاشور إلى هذه الآية، فذكر أنَّ في

(١) حاشية الشهاب ٦/ ٥٦.
(٢) يُنظر التحرير والتنوير ٢٦/ ٣٤٥.
(٣) تفسير القاسمي ٢/ ٩٨.
(٤) التحرير والتنوير ١١/١٩٤.

الآية صرف لقوله الأبتر عن مدلوله اللغوي إلى ما هو أجدر، وهو الناقص حظ الخير، فهو الذي الأجدر بهذه التسمية [١].

الآية الثالثة: هذه الآية والتي تليها وردتا في التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، فقد وجدت أنَّ المفسرين يُكثرون من الإحالة عليهما وتبعهم البلاغيون في إيرادها[٢]، والآية الأولى منهما قوله تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ } [الأعراف:٤٤]، واستشهدوا بها لثلاث وعشرين آية تتحدث عن أحداث يوم القيامة المستقبلية سواء أكانت حوارات بين الأتباع والمتبوعين، فالجامع بين الآيات الحوار يوم القيامة مع اختلاف الطرفين فقد يكونون مؤمنين كالأنبياء والصالحين، وقد يكونون بخلاف ذلك كالطغاة والمتكبرين الذين دعوا الناس إلى عبادتهم أو الحجارة والأشجار، وكل الحوارات ستكون في المستقبل، ولكنه عُبر عنها بالماضي تحقيقاً لوقوعها كما في آيات براءة الأتباع من متبوعيهم كقوله تعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ}[البقرة:١٦٦][٣]، وقوله تعالى: {وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيص} [إبراهيم:٢١]، فهذه الآية أيضاً حديث عما سيجري بين التابعين والمتبوعين كما في آية البقرة التي تبرأ الأتباع من المتبوعين[٤].

وما ذكرته سابقاً هو الغالب عليها إلا أنَّه ورد في مواضع أخرى كحتمية الموت في قوله تعالى: {وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيد} [ق:١٩]، ذكر الواحدي أنَّ المراد (وتجيء) ولكنّه عبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه[٥].

---

(١) المرجع السابق ٣٠/ ٥٧٧.

(٢) يُنظر عروس الأفراح ٢٨٧/١.

(٣) الكشاف ١/ ٣٢٦.

(٤) الكشاف ٣٧٢/٢، وتفسير النسفي ٢/ ١٦٨.

(٥) التفسير البسيط ٢٠/ ٣٩٥.

وقوله تعالى: {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا} [الطلاق:٨]، فقد ورد الفعل {عَتَتْ} بصيغة الماضي رغم أنَّ الحديث كان عن المستقبل، فأفاد ذلك تحققه(١)، وهذه الآية مختلفة عن سابقتها، فهي حديث عن عقاب لمن كفر به في الدنيا بأنَّ العذاب مصيبه.

وسأذكر الآيات الأخرى مع من ذكرها من المفسرين:

- قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين} [الفاتحة:٥] ذكرها البيضاوي / ٢٨ والطيبي في حاشيته على الكشاف ٧٣٨/١.
- قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُون} [البقرة:٣٠] ذكرها الواحدي في التفسير البسيط ٣٠٧/٢.
- قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَاب} [البقرة:١٦٥] ذكرها البيضاوي ١١٧/١ والواحدي ٤٧٦/٣.
- قوله تعالى: {يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوب} [المائدة:١٠٩] ذكرها عبد القاهر الجرجاني في درج الدرر ٦٩٦/٢ والواحدي ٤٧٦/٣.
- قوله تعالى: {إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ} [المائدة:١١٠] ذكرها البيضاوي /١٤٩.
- قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ} [المائدة:١١٦] ذكرها الواحدي ٥٩٩/٧.

---

(١) يُنظر الكشاف ٤/ ١١٣، والبحر المحيط ١٠/ ٢٠٣.

- قوله تعالى: {قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيم} [المائدة:١١٩] ذكرها الواحدي ٧/ ٦٠٠ والطيبي في حاشيته على الكشاف ٥٤٨/٥.
- قوله تعالى: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُون} [يونس:٢٨] ذكرها الواحدي ١١/ ١٨٠ والرازي في التفسير الكبير ٨٧/١٧.
- قوله تعالى: {وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيص} [إبراهيم:٢١] ذكرها الواحدي ١٢/ ٤٤٧ وأبو السعود ٥٢١/٣.
- قوله تعالى: {رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِين} [الحِجر:٢] ذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٢/ ٥٢٣.
- قوله تعالى: {أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُون} [النحل:١] ذكرها الواحدي ١٣/ ٨.
- قوله تعالى: {قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُون} [النحل:٢٦] ذكرها أبو السعود ٥٩/٤.
- قوله تعالى: {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُون} [النحل:٩٢] ذكرها ابن الجوزي ٨٩/٣.
- قوله تعالى: {وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا} [الكهف:٤٧] ذكرها ابن الجوزي ٣/ ٨٩.
- قوله تعالى: {فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُون} [الصافات:٥٠] ذكرها ابن عاشور ١١٥/٢٣.

- قوله تعالى: {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُون} [الدخان:١٦] ذكرها الطيبي ٢٠٣/١٤.
- قوله تعالى: {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا} [الطلاق:٨] ذكرها أبو حيان ٢٠٣/١٠ وأبو السعود ٣٨٢/٦ وابن عاشور ٣٣٥/٢٨.
- قوله تعالى: {مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا} [نوح:٢٥] ذكرها الواحدي في التفسير البسيط ٢٧٢/٢٢.

وبعض المفسرين يستشهد بهذه الآية لرأي احتمالي يحتمله الكلام كما في قوله تعالى: {قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِي} [طه:٨٥]، فهذا القول يرى أبو السعود أنّه يحتمل أمرين هما: أن يكون حديثاً عن حدث وقع وأخبر به موسى، أوعن أمر يُتوقع حدوثه في المستقبل، واستشهد بآية الأعراف للاحتمال الثاني(١).

الآية الرابعة: قوله تعالى: {أَتَى أَمْرُ اللّهِ }[النحل:١]، فهذه الآية استُشهد بها أكثر من سابقتها، فقد وجدت أنهم استشهدوا بها لست وأربعين آية في مواضيع مختلفة منها: الحديث عن قصص الأنبياء كما في حديث الله ﷻ عن هلاك قوم لوط عليه السلام في قوله تعالى: {قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيب}[هود:٨١]، موطن الشاهد في هذه الآية {مَا أَصَابَهُمْ } فإنَّ هذا العذاب لم يقع عليهم وقت خطاب الملائكة للوط عليه السلام وإنما هو حدث مستقبلي، ولكنه ذكر بصيغة الماضي لإثبات وقوعه(٢)، بدليل ما بعدها الذي حدد وقوع العذاب عليهم.

---

(١) تفسير أبي السعود ٣١٨/٤.

(٢) التحرير والتنوير ١٢/ ١٣٣.

وورد كذلك في وعد الله ﷻ لإبراهيم عليه السلام بإهلاك الكفرة من قومه في قوله تعالى: {يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُود} [هود:٧٦] موطن الشاهد في هذه الآية قوله: {آتِيهِمْ} فقد قُرئت بصيغة الماضي (أتاهم) فيكون من أسلوب التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي(١).

وورد هذا الاستشهاد بكثرة في سياق الدعوة إلى الإيمان كما في قوله تعالى: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الامُور} [البقرة:٢١٠] موطن الشاهد في هذه الآية قوله:{وَقُضِيَ} فالجمهور يرى أنها فعل ماضي مبني للمفعول، وعطف على {يَأْتِيَهُمُ} فيكون من هذا الأسلوب، واستشهد السمين الحلبي بآية النحل ليؤكد أنها تدل على معنى تحقق هذا الأمر(٢).

واستشهد بها في تقرير أحداث يوم القيامة كما في قوله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُون} [الزُمَر:٦٨]، ففي هذه الآية أكثر من فعل ماضي يُراد به المستقبل تحقيقاً لوقوع هذه الأحداث، وربطها ابن عاشور بآية النحل(٣).

ووردت كذلك في سياق النعيم المقيم لمن دخل الجنة وأنَّهم سينعمون نعيم لا يكدره حسد ولا غل ولا بغض قال تعالى: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ ٤٣] (٤)، فهذه الآية أتت في إطار وصف حال أهل الجنة، وأنّه لا غل ولا حسد بينهم؛ لأن الله ﷻ نزعه من صدورهم.

وسأذكر الآيات الأخرى مع من ذكرها من المفسرين:

- قوله تعالى: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُون} [البقرة:٢٨] ذكرها أبو حيان ٢١٢/١.

---

(١) البحر المحيط ٦/ ١٨٥.

(٢) الدر المصون ٢/ ٣٦٥.

(٣) التحرير والتنوير ٢٤/ ٦٤.

(٤) اللباب في علوم الكتاب ٩/ ١١٧، والتحرير والتنوير ٨/ ١٣١.

- قوله تعالى: {وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِين} [البقرة:١٤٥] ذكرها الخطيب الشربيني في (السراج المنير) ١٠٢/١.
- قوله تعالى: {فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين} [آل عمران:١٤٨] ذكرها الرازي ٣٠/٩.
- قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن الْعَالَمِين} [المائدة:٢٠] ذكرها ابن عاشور ١٦١/٦.
- قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ} [المائدة:١١٦] ذكرها الخطيب الشربيني ٤٠٧/١.
- قوله تعالى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُون}[الأنعام:٩٤] ذكرها البروسوي في (روح البيان) ٦٩/٣.
- قوله تعالى: {قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ }[الأعراف:٧١] ذكرها أبو السعود ٥٨٠/٢ والقاسمي (محاسن التأويل) ١٨٨/٥.
- قوله تعالى: {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُون}[يونس:٢٨] ذكرها ابن عاشور ١٥١/١١.
- قوله تعالى: {ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُون}[يونس:٥٢] ذكرها ابن عاشور ١٩٥/١١.
- قوله تعالى: {يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُود} [هود:٧٦] ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ١٨٥/٦.
- قوله تعالى: {وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا } [إبراهيم:٢١] ذكرها ابن عاشور ٢١٥/١٣.

- قوله تعالى:{وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ }[النحل:١١٢] ذكرها ابن عاشور ٣٠٤/١٤.
- قوله تعالى: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا}[الإسراء:١٦] ذكرها أبو السعود ١٢٥/٤.
- قوله تعالى: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا} [مريم:٣٠] ذكرها ابن عاشور ٢٩/١٦ والشربيني ٤٢٤/٢.
- قوله تعالى: {إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِين} [الشعراء:٤] ذكرها ابن عاشور ٩٦/١٩.
- قوله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِين}[الشعراء:٦٧] ذكرها أبو السعود ٤٥/٥.
- قوله تعالى: {بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمِون} [النمل:٦٦] ذكرها القاسمي ٥٠٢/٧.
- قوله تعالى: {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُون}[النمل:٨٢] ذكرها أبو السعود ٤٥/٥، و البروسوي ٣٧١/٦.
- قوله تعالى: {وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِين} [النمل:٨٧] ذكرها ابن عاشور ٤٦/٢٠.
- قوله تعالى: {وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لاَ تَخَفْ وَلاَ تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِين} [العنكبوت:٣٣] ذكرها ابن عاشور ٢٤٤/٢٠.
- قوله تعالى: {ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون} [الروم:١٠] ذكرها ابن عاشور ٥٩/٢١.
- قوله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون} [الروم:٤١] ذكرها ابن عاشور ١١٢/٢١.

- قوله تعالى: {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب:٢٢] ذكرها ابن عاشور ٣٠٥/٢١.
- قوله تعالى: {وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا} [الأحزاب:٢٧] ذكره ابن عاشور ٣١٣/٢١.
- قوله تعالى: {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ} [الأحزاب:٦٦] ذكرها ابن عاشور ١١٥/٢٢.
- قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُون} [يس:٩] ذكرها ابن عاشور ٣٥٠/٢٢.
- قوله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُون} [يس:٥١] ذكرها ابن عاشور ٣٦/٢٣.
- قوله تعالى: {فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُون} [الصافات:٥٠] ذكرها ابن عاشور ١١٥/٢٣.
- قوله تعالى: {وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُون} [الصافات:١٥٨] ذكره ابن عاشور ١٨٧/٢٣.
- قوله تعالى: {فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُون} [غافر:٧٨] ذكره ابن عاشور ٢١٢/٢٤.
- قوله تعالى: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا}[الفتح:١] ذكره ابن عاشور ١٤٤/٢٦.
- قوله تعالى:{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيد}[ق:٢٠] ذكرها ابن عاشور ٣٠٧/٢٦.
- قوله تعالى: {فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلاَ يَسْتَعْجِلُون} [الذاريات:٥٩] ذكرها أبو السعود ١٥٣/٦.
- قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِين}[المجادلة:٥] ذكرها أبو السعود ٢٢٩/٦ وابن عاشور ٢٣/٢٨.

- قوله تعالى: {وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِين}[المنافقون:١٠] ذكرها ابن عاشور ٢٥٣/٢٨.
- قوله تعالى: {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا} [الطلاق:٨] ذكرها ابن عاشور في تفسيره ٣٣٥/٢٨.
- قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيم} [المُلك:٢٨] ذكرها ابن عاشور في تفسيره ٤٩/٢٩.
- قوله تعالى: {مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا} [نوح:٢٥] ذكرها السمين الحلبي في الدر المصون ٤٧٧/١٠.
- قوله تعالى: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا} [الإنسان:٧] ذكرها الشربيني ٤٥٢/٤.
- قوله تعالى: {حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِر}[التكاثر:٢] ذكرها ابن عاشور ٥٢٠/٣٠.

ويأتي الفعل بصيغة المضارع فتدخل عليه أداة التفي فتحول معناه من المضارع إلى المضي فيدخل تحت هذا الأسلوب كما قرر ذلك ابن عاشور في قوله تعالى: {وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاء وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِين} [الروم:١٣]، فإنّه قرر أنَّ هذا الأسلوب أتى لتأكيد معنى النفي، وقرنه بآية النحل، والجامع بينهما هو معنى التحقيق(١).

الآية الخامسة: أربع آيات أكثر المفسرون من إيرادها لتقرير أسلوب التعبير عن الماضي بأسلوب المضارع، وكلها من المشهور في البلاغة النظرية والغرض منها الاستحضار، أولها قوله تعالى: {فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوط}[هود:٧٤] فهذه الآية ذكرها قدماء اللغويين كالفراء الذي ذكر أنَّ فيها عدولاً عن الماضي إلى المضارع، ولكنه لم يذكر العلة من هذا العدول(٢)،

(١) يُنظر معاني القرآن ٢٣/٢.
(٢) يُنظر معاني القرآن ٢٣/٢.

وممن ذكرها الزجاج فقد ذكر أنَّ فيها عدولاً أسلوبياً وذلك أنَّ (لما) الأصل في جوابها أن يكون ماضياً، وأنَّ العرب يعدلون عن ذلك كثيراً، وذكر وجهاً آخر وهو أن يكون المقصد من هذا العدول هو الاستحضار(١)، ولعله هو أول من ذكر هذا التعليل مع ابن الأنباري كما قال الواحدي(٢)، وابن عاشور هو أكثر المفسرين استشهاداً بها، فقد أحال لها ثلاث عشرة آية فأصل الكلام: (جادلنا) ولكنَّه عُبر بالمضارع لاستحضار هذا المشهد في ذهن السامع، والآيات منها المتطابق في مادة الفعل كقوله تعالى: {يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُون}[الأنفال:٦]، فهذه الآية وردت حديثاً عن غزوة بدر وكراهية بعض المسلمين للقتال، وتحججهم بأنهم ما خرجوا إلا لأخذ العير، فشبه شدة فزع هؤلاء من القتال بحال من يُقاد للموت وهو متيقن منه مشاهد لأسبابه، والتعبير عنه بصيغة المضارع للتعجيب من جدالهم(٣).

وكثر العدول من الماضي إلى المضارع في فعل (القول) قصد الاستحضار والتعجيب منها قوله تعالى: {يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ} [المنافقون:٨] فموطن الشاهد {يَقُولُونَ} حيث حكيت القصة بصيغة المضارع؛ لاستحضار حالتهم العجيبة حيث إنَّهم ادعوا العزة لأنفسهم وجعلوا المسلمين أذلة(٤).

وارتبط هذا الأسلوب بتبين حال الكفار مع دعوة الأنبياء حيث يستعجلون رفضها وعدم الإصغاء إلى داعي الحق، وهذا كثير في القرآن منها قوله تعالى: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُون} [العنكبوت:٥٣]، حكى الله ﷻ مقولتهم بصيغة المضارع؛ لتصوير شدة كفرهم حيث إنّهم لم يتفكروا في أمر هذه الدعوة وفي عاقبة أمرهم(٥).

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣/٦٤-٦٥.
(٢) التفسير البسيط ١١/٤٩٠.
(٣) يُنظر التحرير والتنوير ٩/ ٢٦٧.
(٤) المرجع السابق ٢٨/ ٢٤٩.
(٥) يُنظر المرجع السابق ٢١/ ١٨.

والجامع بين كثير من الآيات التي استشهد لها بالآية السابقة هو التعجيب سواء أكان من جانب الصالحين كإبراهيم عليه السلام أو جانب الكفار والمنافقين حيث إنّهم رفضوا سلوك طريق الإيمان الحق رغم وضوح أماراته واستبانت معالمه، لذا كان ابن عاشور دقيقاً في اختيار هذه الآية.

وسأذكر الآيات الأخرى مع من ذكرها من المفسرين:

- قوله تعالى: {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُون} [التوبة:٦٤] ذكرها ابن عاشور ٢٤٩/١٠.
- قوله تعالى: {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ} [هود:٣٨] ذكرها ابن عاشور ٦٧/١٢.
- قوله تعالى: {وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا }[يوسف:٣٠] ذكرها ابن عاشور ١٧٥/١٣.
- قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِين} [السجدة:٢٨] ذكرها ابن عاشور في تفسيره ٢٤٢/٢١.
- قوله تعالى: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ }[الأحزاب:٣٧] ذكرها ابن عاشور في تفسيره ٣١/٢٢.
- قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِين}[سبأ:٢٩] ذكرها ابن عاشور ٢٠٠/٢٢.
- قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلاَ بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلاَ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِين}[سبأ:٣١] ذكرها ابن عاشور ٢٠٤/٢٢.
- قوله تعالى: {يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ}[النازعات:١٠] ذكرها ابن عاشور ٦٩/٣٠.
- قوله تعالى:{بَلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُون}[الانشقاق:٢٢] ذكرها ابن عاشور ٢٣٣/٣٠.

<u>الآيـة السادسة:</u> قولـه تعالى:{وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ }[هود:٣٨] وهي أقل من سابقتها من ناحية الاستشهاد، وكثر الربط بينها وبين الآيات التي عدل فيها عن فعل (القول)

بصيغة الماضي إلى صيغة المضارع، وبلغ مجموعها إحدى عشرة آية سأذكرها في مع من ذكرها من المفسرين:

- قوله تعالى: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاء }[النساء:١٥٣] ذكرها ابن عاشور ٦/ ١٣.
- قوله تعالى: {الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُون}[الأعراف:٤٥] ذكرها ابن عاشور ٨/ ١٣٨.
- قوله تعالى: {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِين}[يونس:٤٨] ذكرها ابن عاشور ١١/ ١٨٩.
- قوله تعالى: {يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوط}[هود:٧٤] ذكرها ابن عاشور ١٢/ ١٢٣.
- قوله تعالى: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَاب} [الرعد:٤٣] ذكرها ابن عاشور ١٣/ ١٧٥.
- قوله تعالى: {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى}[الحج:٢] ذكرها ابن عاشور ١٩١/١٧.
- قوله تعالى: {وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ }[الأحزاب:٣٧] ذكرها ابن عاشور ٣٠/٢٢.
- قوله تعالى: { وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيد}[سبأ:٥٣] ذكرها ابن عاشور ٢٤٤/٢٢.
- قوله تعالى: {كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيم}[الشورى:٣] ذكرها ابن عاشور ٢٥/ ٢٨.
- قوله تعالى: {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلاَ نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُم}[محمد:٢٠] ذكرها ابن عاشور ٢٦/ ١٠٧.
- قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}[الفتح:١٠] ذكرها ابن عاشور ٢٦/ ١٥٧.

الآية السابعة والثامنة: وهما آيتان متقاربتان تتحدثان عن دلائل قدرة الله ﷻ وهما قوله تعالى: {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُور}[فاطر:٩]، وقوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا }[الروم:٤٨]، فقد استشهد ابن عاشور بهاتين الآيتين في تقرير غرض الاستحضار، فتركيبهما متقارب، وهو أكثر من وظفهما في تقرير هذا الغرض لهذا الأسلوب، وأقل منه الإمام الطيبي، ووجدت لهما في الاستشهاد بها ست عشرة آية، كثير منها ورد في القصص القرآني كقوله تعالى: {إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاق} [ص:١٨]، تساءل الزمخشري عن الفرق بين يسبحن ومسبحات، فذكر أنَّ في التعبير بالفعل المضارع فيه استحضار لهذه الصورة، فكأنَّ المخاطب يُشاهد الطير وهي تسبح، فعقب الطيبي شارح الكشاف بأنَّ في هذا استحضارًا لصورة حدوث التسبيح منها شيئاً بعد شيء، وربط دلالتها على هذا الغرض بآية سورة فاطر(١).

وورد في حديث الله ﷻ عن بني إسرائيل في قوله تعالى: {كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُون} [المائدة:٧٩]، فسياق الكلام أن يكون بالماضي، ولكنّه عُدل إلى المضارع لتصوير توانيهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والهدف كما قال الطيبي الزجر عن ارتكاب هذا الفعل الشنيع، وقرنها بآية سورة فاطر(٢).

كما وظفت في مجال الحديث عن أهوال يوم القيامة كما في {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيد}[الحج:٢]، فأصل الكلام: ورأيت الناس سكارى، ولكنه عُدل إلى المضارع لاستحضار الحالة العجيبة بعد أن أتي في (أرضعت) بالماضي، وربطها ابن عاشور بآية سورة الروم(٣).

---

(١) فتوح الغيب ١٣/ ٢٥٠.

(٢) يُنظر المصدر السابق ٥/ ٤٥٤.

(٣) التحرير والتنوير ١٧/ ١٩١.

وقوله تعالى: {وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيه}[المعارج:١٣] فهذه الآية حديث عن يوم القيامة، وأن كل إنسان يود الافتداء بأقرب الناس إليه نجاة بنفسه من عذاب النار، وهم جماعته وأقاربه التي كانت تحميه وتنصره في الدنيا، فهذه الأفعال منهم كانت في الدنيا، فالأصل أن تذكر بالماضي، ولكنّه عُبر عنها بالمضارع للاستحضار، وربطها ابن عاشور بآية سورة الروم(١).

وسأذكر الآيات الأخرى مع من ذكرها من المفسرين:

- قوله تعالى: { فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُون}[البقرة:٨٧] ذكرها ابن عاشور في التحرير والتنوير ٥٩٨/٥.
- قوله تعالى: {فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ }[آل عمران:٦١]
- قوله تعالى: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاء فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ }[النساء:١٥٣] ذكرها ابن عاشور ١٣/٦.
- قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِين}[الأنعام:٧٥] ذكرها ابن عاشور ٣١٥/٧.
- قوله تعالى: {وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُون}[الأعراف:٩] ذكرها ابن عاشور ٣٢/٨.
- قوله تعالى:{فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِين}[الأعراف:٧٩] ذكرها ابن عاشور ٢٢٩/٨.
- قوله تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِين}[الأنفال:٣٠] ذكرها ابن عاشور ٣٢٧/٩.
- قوله تعالى: {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُون}[التوبة:٦٤] ذكرها ابن عاشور ٢٤٩/١٠.

---

(١) فتوح الغيب ٢٥٠/١٣، والتحرير والتنوير ١٦٢/٢٩.

- قوله تعالى: {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ }[هود:٣٨] ذكرها ابن عاشور ٦٧/١٢.
- قوله تعالى: {وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ }[هود:٤٢] ذكرها ابن عاشور ٧٤/١٢.
- قوله تعالى: قوله تعالى: {كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُالْحَكِيم} [الشورى:٣] ذكرها ابن عاشور ٢٥/ ٢٨.
- قوله تعالى: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيم}[الدخان:٤] ذكرها ابن عاشور ٢٨٠/٢٥.

**

المبحث الثالث

شواهد الإنشاء

قسم البلاغيون الإنشاء إلى قسمين: إنشاء طلبي وغير طلبي، وذكروا تحت كل منهما أساليب متنوعة، واهتموا بالأول منهما، ووجدت أنَّ المفسرين في هذا الأسلوب أكثروا من توظيف الآيات في ذكر الغرض الذي خرجت إليها هذه الأساليب عن معانيها الأصلية، ووجدت أنهم أكثروا من ذكر آيتين **هما:**

الآية الأولى: قوله تعالى: {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير}[فُصِّلَت:٤٠] ، هذه الآية عُدت الأصل في خروج الأمر عن معناه الحقيقي إلى معنى التهديد(١)، وقرر أوائل المفسرين كمجاهد والضحاك هذ الغرض لصيغة الأمر(٢)، وتبعهم اللغويون من المفسرين في ذكر هذه الآية كأصل لهذا الغرض(٣)، فقد استشهد بها المفسرون لخروج الأمر عن معناه الأصلي إلى التهديد في أربع وعشرين آية وقفت عليها، ومن أكثرهم ربطاً بينها وبين غيرها من الآيات أبو حيان والزمخشري وابن عطية والبغوي، وكثير منها ارتبط التهديد فيها بمعنى التوبيخ، وقيل: إنّ التهديد الوارد بصيغة الأمر هو النهاية في الوعيد(٤)، ففيه دلالة على تسخط الإتيان بالمأمور به، وعلل الزمخشري ذلك بأنَّ فيه تخلية وتسجيلاً على المأمور بأنه لا يصدر منه إلا الشر "فكأنّه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له أن ينقضي ويعمل بخلافه"(٥).

ووردت كثيراً في مقام الدعوة إلى الله ﷻ كما في قوله تعالى: {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ}

---

(١) درج الدرر ١٥٥/١، والتفسير البسيط ٢/ ٦٣٧، والمحرر الوجيز ١٤٨/٢.

(٢) تفسير الطبري ٤٤٢/٢٠، وأحكام القران لبكر بن العلاء ٣٧١/٢.

(٣) مجاز القرآن ١٩٧/٢، وتأويل مشكل القرآن ٢٨٠، وتفسير الطبري ٤٤٢/٢٠.

(٤) إعجاز القرآن للباقلاني ٢٨٢.

(٥) الكشاف ٥٢/٢.

[الأنعام:١٣٥]، فالأمر هنا للتهديد كما رأى الرازي وأبو حيان[١]، وهذا التركيب ورد في القرآن أربع مرات كلها في سياق الحديث مع الكافرين[٢]، ولكن ابن عاشور الذي قرن بين الآيتين ذكر أنَّ الغرض هو التسوية، وتعمق في الدلالة فذكر أن المقصد من هذا المجاز هو إظهار اليأس من إيمانهم وامتثالهم للحق والنصح[٣].

وقوله تعالى: {لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُون}[النحل:٥٥]، فهذه الآية بهذا التركيب وردت في القرآن ثلاث مرات منها: هذه الآية ووردت كذلك في سورتي العنكبوت[٤] والروم[٥]، وكلها تدل على معنى التهديد[٦]، وورد هذا الغرض في أسلوب التخيير الذي لا يُراد به حقيقته وإنما يُراد به التهديد كما في قوله تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا}[الكهف:٢٩] [٧].

ووردت كذلك في الحديث عن المنافقين وتخاذلهم عن نصرة المؤمنين ومشاركتهم المشاركة الفعالة في إقامة أسس الدين؛ وذلك لفساد طويتهم كما في قوله تعالى: {وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِين} [التوبة:٤٦] موطن الشاهد الجملة الأخيرة من الآية، فقد خرجها المفسرون تخريجات كثيرة، ومن ضمن ما قيل: أنَّ الأمر هنا للتهديد، وقرنت بآية فصلت[٨].

---

(١) تفسير الرازي ١٣/ ٢١٣، والبحر المحيط ٤/ ٦٥٣.

(٢) سورة هود ٩٣، وسورة هود ١٢١، وسورة الزمر ٣٩.

(٣) التحرير والتنوير ٨/ ٩٠.

(٤) سورة العنكبوت (٦٦)، وينظر التفسير الوسيط ٣/ ٤٢٦.

(٥) سورة الروم ٣٤.

(٦) المحرر الوجيز ١٤/٣٧٠، وتفسير أبي السعود ٤/٧٤.

(٧) معالم التنزيل ٣/ ١٨٩.

(٨) أنموذج جليل ١٧١.

وقوله تعالى: {يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُون} [التوبة:٦٤]، فقد ذكر أبو حيان أنَّ الامر للتهديد(١)؛ لأنَّ الاستهزاء لا يُراد بحد ذاته، وإنما هو من باب التهديد لهم.

وورد هذا الغرض في حوار الله مع إبليسه في سورة الإسراء عندما هدد بأنّه سيُضل البشر عن سلوك طريق الحق، فقد وردت آيتان متتابعتان وردت فيهما خمس صيغ كلها للتهديد، وهي قوله تعالى: {قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُورًا٦٣ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا} [الإسراء٦٣ :٦٤] (٢)، ففي هذه الآية مجموعة من الأوامر التي لا يُراد بها إنفاذها، وإنما أُريد بها التهديد.

وسأذكر الآيات الأخرى مع بيان من ذكرها من المفسرين:

- قوله تعالى: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون}[البقرة:٤٠] ذكرها أبو حيان في البحر المحيط ١/ ٢٨٥.
- قوله تعالى: { اهْبِطُواْ مِصْراً }[البقرة:٦١] ذكرها الراغب الأصفهاني ٢١٣/١.
- قوله تعالى: { قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ }[آل عمران:١١٩] ذكرها أبو حيان ٣٢١/٣.
- قوله تعالى: { فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُون}[الأنعام:١١٢] ذكرها أبو منصور الماتريدي في (تأويلات أهل السنة) ٦٢٧/٤.
- قوله تعالى: {وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُون}[الأنعام:١١٣] ذكرها أبو حيان ٦٢٧/٤.
- قوله تعالى: {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ }[الأنعام:١٣٥] ذكرها الزمخشري ٥٢/٢ وابن عاشور ١٩٠/٩.
- قوله تعالى:{ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُون}[الأنعام:١٣٨] ذكرها الرازي في التفسير الكبير ٢١٨/١٣ وأبو حيان ٦٥٣/٤.

---

(١) البحر المحيط ٥/ ٤٥٣.

(٢) تفسير البغوي ١٠٦/٥، والمحرر الوجيز ٥٠٨/١٥، والبحر المحيط ٧/ ٧٩.

- قوله تعالى: { فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِين}[الأعراف:٧١] ذكرها ابن عاشور ٢١٣/٨.
- قوله تعالى:{ قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُون}[التوبة:٦٤] ذكرها أبو حيان ٤٥٣/٥.
- قوله تعالى:{وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ }[هود:٩٣] ذكرها أبن عطية ١١/١٢.
- قوله تعالى:{أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء قُلْ سَمُّوهُمْ }[الرعد:٣٣] ذكرها عبد القاهر الجرجاني في التفسير المنسوب له ١٠٣٠/٣.
- قوله تعالى:{وَجَعَلُواْ لِلّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّار}[إبراهيم:٣٠] ذكرها ابن عطية ٢٤٩/١٣ وأبو حيان ٣٦٧/٨ وابن ٣٣/٢١.
- قوله تعالى: {لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُون}[العنكبوت:٦٦] ذكرها البغوي ٢٥٥/٦ والزمخشري ٢١٢/٣ وأبو حيان ٣٦٧/٨ وابن عاشور ٣٣/٣٢.
- قوله تعالى: {لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُون}[الروم:٣٤] ذكرها الزمخشري ٢٢٢/٣.
- قوله تعالى: {فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ }[الزُّمَر:١٥] ذكرها مجموعة من المفسرين منهم البغوي ١١٢/٧ وابن عطية ٣٨٢/٢٣ والشوكاني ٥٢٢/٤-٥٢٣.
- قوله تعالى:{فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُون} [الزُّخرُف:٨٣] ذكرها الزمخشري ٤٩٧/٣ والطيبي ١٨٢/١٤ وابن عاشور ٢٦٧/٢٥.
- قوله تعالى: {لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّر}[المدَّثر:٣٧] ذكرها الخازن في (لباب التأويل في معاني التنزيل) ٣٦٦/٤.
- قوله تعالى:{كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُم مُّجْرِمُون}[المرسلات:٤٦] ذكرها النسفي في تفسيره (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ٥٨٨/٣.
- قوله تعالى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِين}[الكافرون:٦] ذكرها الرازي ١٤٧/٣٢.

الآية الثانية: قوله تعالى: {فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُون} [المائدة:٩١]، للاستفهام معان كثيرة خرج إليها منها: الأمر، ومسألة خروج الاستفهام عن معناه الأصلي من أوائل المسائل البلاغية التي قررت في الحق
ل اللغوي[١]، وهو أحد المعاني الرئيسة التي يذكرها المفسرون إذا تحدثوا عن المعاني المجازية للاستفهام كما فعل القرطبي[٢]، فهذه الآية أتت في سياق النهي عن شرب الخمر والميسر، والسر في العدول عن النهي الصريح إلى صيغة الأمر هو التدرج مما ألفته نفوسهم واستمرت عليه زمناً طويلاً إلى خلافه امتثالاً لهذا الأمر[٣]، واستشهدوا بها لتقرير هذا الغرض في نوعين من الآيات بلغ مجموع آياتهما فيما وقفت عليه خمس آيات.

النوع الأول: الآيات التي تتفق معها في التركيب، فأداة الاستفهام دخلت على الضمائر المتبوعة بالاسم المشتق كما في قوله تعالى: {فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُون}[الأنبياء:٨٠] [٤]، ففي الآية أمر من الله ﷻ لعباده بالشكر جزاء ما أنعم عليهم، وأتى بصيغة الاستفهام في موضع الأمر حثاً لهم على الشكر، وهذه الآية جُعلت أصلاً ثانياً يُحيلون عليه في تأكيد معنى خروج الاستفهام للأمر، وجعلوها أصلاً لآية المائدة[٥]، وقُرن بها قوله تعالى: {وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُون} [الشعراء:٣٩]، فالمراد بهذا الاستفهام الإسراع بالاجتماع، والمفسرون كالطيبي وابن عاشور تنبهوا إلى أنَّ في التركيب عدولاً عن الفعلية إلى الاسمية، فأصل الكلام: (فهل تنتهون) و(فهل تشكرون)، وهذا العدول لما في الاسم من معنى الثبوت والدوام والتحقيق[٦] والاعتناء بما بعدها، وعلل الخطيب القزويني ذلك بأنَّ في هذا

(١) معاني القرآن للفراء ٢٠٢/١.
(٢) تفسير القرطبي ١٥٧/٢٠.
(٣) فتوح الغيب ٣٥٣/٣-٣٥٤.
(٤) البحر المحيط ٧/ ٤٥٧.
(٥) تفسير البغوي ٩٤/٣.
(٦) فتوح الغيب ١٢/ ٦٠٢، والتحرير والتنوير ١٧/ ١٢٢.

العدول إبرازاً لما سيتجدد في معرض الثابت، وأنَّ هذا أدل على كمال العناية بحصوله من إبقائه على أصله[١] وهو دخول (هل) على الفعل، وهذا مرتبط بنوعية المواضيع التي يرتبط بها، فهي موضوعات تتطلب تأكيد حصولها؛ مثل الامتناع عن الخمر والاستمرار في الكف عن شربها، واستمرارية الشكر، والتحذير من التهاون فيه.

ومن الشواهد التي أُحيلت إلى آية المائدة قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُون} [الأنبياء:١٠٨]، ذكر الواحدي أن الاستفهام في الجملة الأخيرة هو للأمر، بمعنى أسلموا وربطها بآية المائدة[٢]، "فجاء هذا الطلب في صورة استفهام بـ (هل) الداخلة على جملة اسمية إبلاغاً في الدعوة إلى تحقيق ما دخلت عليه (هل) وفيه تسفيه لمن لم يقبل على ذلك"[٣]، ولكن ابن عاشور ذكر أنها للحث على الفعل وعدم تأخيره[٤][٥].

النوع الثاني: هي الآيات التي اختلفت معها في التركيب فأداة الاستفهام دخلت على الفعل، ولكن اتفقت معها في الخروج من الاستفهام إلى معنى الأمر كقوله تعالى: {فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ }[آل عمران:٢٠]، فالمراد به الأمر وهو حثهم على الإسلام[٦]، وابن عاشور ربط بين الآيتين وذكر أنَّ الاستفهام يدل على الاستبطاء والتحضيض[٧]، " فالسياق هنا ليس للأمر بالإسلام وطلبه منهم فحسب، بل هو ممزوج بالاستبطاء

(١) الإيضاح مع البغية ٣٢/٢.
(٢) التفسير الوسيط ٣/ ٢٥٥.
(٣) صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم للدكتور/ محمود توفيق سعد ١٠٥.
(٤) التحرير والتنوير ١٢/ ٢٢.
(٥) ومن الشواهد ما ورد في سورة الشعراء آية (٣٩) ذكرها ابن عاشور في التحرير والتنوير ١٢٥/١٩.
(٦) تفسير الطبري ٢٨٧/٥، ودرج الدرر ٤٧٢/٢، وتفسير البغوي ٢٠/٢.
(٧) التحرير والتنوير ٣/ ٢٠٢.

والتوبيخ عليه والتعيير بالمعاندة وقلة الإنصاف والبلادة وجمود القريحة"[١]، ففي هذه الصيغة الدالة على هذا المعنى ما في صريح الأمر وزيادة الحث.

وقوله تعالى: {أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيم}[المائدة:٧٤]، ففي هذه الآية أمر للنصارى وحث لهم عن الانتهاء عن مقولة التثليث والكف عنها، والعودة إلى طريق الإيمان[٢].

وقوله تعالى: {وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا}[الفرقان:٢٠]، فالاستفهام هنا للحث والأمر[٣]، وهذه الآية أحيلت على آية الأنبياء الأولى.

**

(١) صورة الأمر والنهي ١٠٨.

(٢) تفسير الرازي ١٢/ ٦٤.

(٣) تفسير القرطبي ٣٩٢/١٥، والتحرير والتنوير ١٨/ ٣٤٥.

المبحث الرابع
شاهد كمال الاتصال

للفصل والوصل صور متنوعة ذكرها البلاغيون في مؤلفاتهم، منها كمال الاتصال وهو أن تكون الجملة الثانية متصلة بالأولى اتصالاً معنويا، وحصروها في ثلاث صور هي: أن تكون الثانية مؤكدة للأولى تأكيداً معنوياً، أو بدلاً منها سواء أكان بدل اشتمال أو بدل بعض من كل، أو تكون الثانية عطف بيان من الأولى ، وشاهده الذي يقرر به البلاغيون هذه الصورة قوله تعالى:{فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى} [طه:١٢٠]، فقوله تعالى: {قَالَ يَا آدَمُ} هو تبيان للوسوسة التي ذكرت في أول الآية، ولذا خلت الآية من حرف العطف الواو لشدة الاتصال بين الجملتين، وابن عاشور تميز بجعلها أصلاً يحيل عليها ما يماثلها فقد استشهد بها لثمانِ آيات منها قوله تعالى: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ }[فاطر:٤٢] ، فقوله تعالى: { لَئِن جَاءهُمْ نَذِيرٌ } جاء لبيان القسم الذي أقسموه وتبيان ما هو؟ ولذا خلت الجملة من العاطف(١).

وقوله تعالى: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيم} [يس:٧٨] فجملة القول في هذه الآية جاءت لتبين المثل الذي ضربه أُبي بن خلف، ولذا خلت من العاطف(٢).

وقوله تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِين} [الزُمَر:٦٥] .

ذكر ابن عاشور أنَّ قوله تعالى:{لَئِنْ أَشْرَكْتَ} أتى لإيضاح الوحي، وأنّه متعلق بالتحذير من الشرك(٣)، فبين الجملتين ترابط واتصال منع العطف بينهما.

---

(١) يُنظر التحرير والتنوير ٢٢/ ٣٣٢.

(٢) المرجع السابق ٢٣/ ٧٥.

(٣) المرجع السابق ٢٤/ ٥٨.

وقوله تعالى: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُون٢٥ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِين} فالآية الثانية لبيان التساؤل الذي ذُكر في الآية الأولى، فالجملتان مترابطتان لذا خلت من العاطف(١).

وقوله تعالى: {تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِير} [المُلك:٨] ذكر ابن عاشور أنَّ قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِير}جاء بياناً لسؤال خزنة النار(٢)، وأنَّ سؤالهم كان سؤال توبيخ لهم؛ ولا يراد به حقيقة السؤال.

وسأذكر بقية الآيات التي ذكرها ابن عاشور وهي:

- قوله تعالى: {يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ } [النساء:١١] ذكرها في ٢٥٧/٤.
- قوله تعالى:{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إَلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ٦١ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلا}[الإسراء:٦١-٦٢] ذكرها في ١٥٠/١٥.
- قوله تعالى:{وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِد لاَ يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِب}[الصافات:٧- ٨] ذكرها في ٩١/٢٣.

**

(١) المرجع السابق ٢٧/ ٥٦.

(٢) المرجع السابق ٢٩/ ٢٥.

المبحث الخامس
شواهد الإيجاز والإطناب

للإيجاز والإطناب فضيلة في الكلام إذا وافق المقام، ولهما صور كثيرة ذكرها البلاغيون، ووقفت على عشرة شواهد لستة أساليب لبلاغية تندرج تحت هذا النوع من الكلام، **وهي:**

الآية الأولى: قوله تعالى: {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ} [يوسف:٨٢]، هذه الآية من الشواهد التي قعد بها حذف المضاف في إيجاز الحذف إذا لم يُرد بها أهلها، كما قعدوا بها علاقتي المحلية والمفعولية في بابي المجاز المرسل والمجاز العقلي إذا جُعلت مجازًا عن أهلها، وهذه الآية وظفت في نوع آخر من المجاز وهو المجاز بالحذف حيث نقلت من إعرابها الأصلي وهو المضاف إلى كونها مفعولا به وفق مذهب الخطيب القزويني[١]، والمفسرون وظفوا هذه الآية لتقرير إيجاز الحذف، وأنَّ الكثير من الآيات يُحذف منها المضاف لشهرته ولأن السياق يدل عليه، وهذا الشاهد أكثر المفسرون من الاستشهاد به، فقد وقفت على استشهاداتهم بها في سبع وخمسين آية، وتقدير المحذوف عندهم على أضرب: نوع يُقدر فيها ذات التقدير (أهل) وهذا هو الأكثر خصوصاً عند ذكر الأماكن والبلدان والفترات الزمنية كالقرن، فقد استشهدوا بها في اثني عشر موضعاً منها قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}[الشورى:٧]، ففي الآية حذف تقديره: (أهل) لدلالة المعنى عليه؛ وكذلك قوله: { وَمَنْ حَوْلَهَا}[٢]، وذكر أبو حيان تعليلاً طريفاً وهو أن الأبنية لا يُوجه إليها الإنذار[٣].

---

(١) الإيضاح مع البغية ١٤٦/٣.

(٢) الكشاف ٤٦١/٣، والتحرير والتنوير ٧/ ٣٧٢.

(٣) البحر المحيط ٤/ ٥٨٣، والتحرير والتنوير ٢٦/ ٣٦.

وقد يكون التقدير بكلمة قريبة منها وهي (أصحاب) كما في قوله تعالى: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ} [البقرة:١٩] حذف المضاف وأُقيم المضاف إليه، وتقدير: كأصحاب صيب[1]، وقد يُقدر بغير ذلك كما في الشواهد الآتية.

وسأذكر الآيات الأخرى مع من ذكرها من المفسرين:

- قوله تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ [البقرة:٢٥] ذكرها القرطبي ٣٥٩/١ وأبو حيان ١٨٣/١.
- قوله تعالى: {وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُون}[البقرة:٥١] ذكرها القرطبي ١٠١/٢.
- قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ }[البقرة:٩٣] ذكرها الثعلبي في (الكشف والبيان) ٢٣٦/١ وابن الجوزي ٨٩/١.
- قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا }[البقرة:١٢٦] ذكرها الرازي ٥٩/٤.
- قوله تعالى: {وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ}[البقرة:١٣٠] ذكرها مكي بن أبي طالب) ٤٥٤/١.
- قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ }[البقرة:١٥٩] ذكرها أبو حيان ٧٣/٣.
- قوله تعالى: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ}[البقرة:١٧٧] ذكرها القرطبي ٥٤/٣.
- قوله تعالى: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِين}[آل عمران:١٧٨] ذكرها ابن عطية ٤٢٨/٤.
- قوله تعالى: {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَاد}[آل عمران:١٩٤] ذكرها مجموعة من المفسرين منهم الثعلبي في تفسيره ٢٣٣/٣ والقرطبي ٤٤٧/٥ والشوكاني ٤٧٢/١.

---

(١) تفسير الثعلبي ١/ ١٦٥.

- قوله تعالى: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ}[النساء:١٧٦] ذكرها الرازي ١٢٣/١١ والقرطبي ٢٤٢/٧.
- قوله تعالى:{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ } [المائدة:١٠٦] ذكرها الثعلبي ١١٩/٤.
- قوله تعالى: {إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاء }[المائدة:١١٢] ذكرها الثعلبي ١٢٤/٤ والشوكاني ١٠٦/٢.
- قوله تعالى: {أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ }[الأنعام:٦] ذكرها القرطبي ٣٢٤/٦.
- قوله تعالى: {فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون}[الأنعام:٤٣] ذكرها ابن الجوزي ٢٨/٢.
- قوله تعالى: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا }[الأنعام:٩٢] ذكرها أبو حيان ٥٨٣/٤ وابن عاشور ٣٧٢/٧.
- قوله تعالى: {وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُون}[الأعراف:٤] ذكرها ابن عاشور ١٩/٤.
- قوله تعالى: {واَسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ }[الأعراف:١٦٣] ذكرها القرطبي ٣٦١/٩.
- قوله تعالى: {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُون}[الأعراف:١٩٠] ذكرها الرازي ٩٢/١٥ وابن الجوزي ١٧٨/٢.
- قوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِين}[يونس:٣٨] ذكرها مكي بن أبي طالب ٣٢٦٩/٥.
- قوله تعالى: {فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ }[يونس:٨٣] ذكرها القرطبي ٣٢/ ٨١١ وابن الجوزي ٣٤٤/٢.

- قوله تعالى: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ }[هود:٨٤] ذكرها ابن عطية ٦٢٩/١٢.
- قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيد}[هود:١٠٢] ذكرها القرطبي ٣٢/١١.
- قوله تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُون}[هود:١١٧] ذكرها ابن عاشور ١٨٦/١١٢.
- قوله تعالى: {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا} [يوسف:٣٦] ذكرها ابن الجوزي ٤٣٩/٢.
- قوله تعالى: {فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُون} [يوسف:٧٠] ذكرها القرطبي ٤٠٦/١١.
- قوله تعالى: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ }[الرعد:١١] ذكرها ابن عطية ١٨٧/١٣.
- قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَاب}[الرعد:٤١] ذكرها ابن عاشور ١٧١/١٣.
- قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَام}[إبراهيم:٣٥] ذكرها الرازي ١٣٤/١٩.
- قوله تعالى: {وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ }[النحل:١١٢] ذكرها ابن عاشور ٣٠٥/١٤.
- قوله تعالى: {وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا}[الإسراء:١٦] ذكرها ابن عاشور ٥٥/١٥.
- قوله تعالى: {وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولا}[الإسراء:٣٤] ذكرها الرازي ٢٠٧/٢٠.
- قوله تعالى: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا}[الإسراء:٣٦] ذكرها الرازي ٢١١/٢٠.

- قوله تعالى: {أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا}[الكهف:٤١] ذكرها القرطبي ٢٨٤/١٣.
- قوله تعالى: {وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ [الأنبياء:٧٤] ذكرها ابن عاشور ١١٢/١٧.
- قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُون}[الأنبياء:٩٦] ذكرها القرطبي ٢٨٧/١٤.
- قوله تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ}[النور:٣٥] ذكرها ابن عاشور ٦٢٩/١٢.
- قوله تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُون} [القصص:٥٩] ذكرها ابن عاشور ١٥٣/٢.
- قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ }[الروم:٢٧] ذكرها ابن عاشور ٨٤/٢١.
- قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا }[لقمان:٦] ذكرها القرطبي ٤٥٦/١٦.
- قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا}[الأحزاب:٥٧] ذكرها البغوي ٣٧٥/٦.
- قوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً}[الأحزاب:٧٢] ذكرها البغوي ٣٨١/٦.
- قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ}[سبأ:٩] ذكرها ابن عاشور ١٥٣/٢٢.
- قوله تعالى: {فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِين}[سبأ:١٤] ذكرها القرطبي ٢٨٥/١٧.

- قوله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِير}[فاطر:٣٢] ذكرها القرطبي ٣٨٠/١٧.
- قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ }[فاطر:٤٠] ذكرها ابن عاشور ٣٢٥/٢٢.
- قوله تعالى: {وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيم}[يس:٣٩] ذكرها القرطبي ٤٤٦/١٧.
- قوله تعالى: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلآئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلاَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم}[الشورى:٥] ذكرها ابن عاشور ٣٠/٢٥.
- قوله تعالى: {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِين} [الدخان:٢٩] ذكرها القرطبي ١٢٠/١٩.
- قوله تعالى: {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلاَ نَاصِرَ لَهُم}[محمد:١٣] ذكرها الشوكاني ٤١/٥.
- قوله تعالى: {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُون}[الواقعة:٨٢] ذكرها الثعلبي ٢٢٢/٩.
- قوله تعالى: {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا}[الطلاق:٨] ذكرها الرازي ٣٨/٣٠ وابن عاشور ٣٣٤/٢٨.
- قوله تعالى: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيم}[الحاقة:٤٠] ذكرها الثعلبي ٣٢/١٠.
- قوله تعالى: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلاَ تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ تَبَارًا}[نوح:٢٨] ذكرها أبو حيان ٢٠١/٤.
- قوله تعالى:{إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَاد}[الفجر:٧] ذكرها الزمخشري ٢٥٠/٤ والرازي ١٦٧/٣٠.
- قوله تعالى:{فَلْيَدْعُ نَادِيَه}[العلق:١٧] . ذكرها ابن عاشور ٤٥٢/٣٠.

ونلحظ في الجدول السابق أن أكثر المفسرين توظيفاً لها القرطبي وابن عاشور.

الآية الثانية: قوله تعالى: {وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} [الكهف:٧٩]، فهذه الآية عُدت الأصل في أسلوب حذف الصفة، وابن عاشور هو الوحيد الذي اتخذها أصلاً يقرر بها حذف الصفة في آيات أخرى، وبلغ مجموعها ثمان آيات، وكثيرٌ ما تُحذف الصفة من لفظة (شيء) باختلاف تقدير الصفة بعدها، ومن شواهده قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ }[المائدة:٦٨] موطن الشاهد في هذه الآية { عَلَى شَيْءٍ } **أي:** على شيء حقيقي من التدين والتقوى، فالصفة حُذفت لأنَّ المقام يدل عليها(١).

وقوله تعالى: {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ}[الحِجر:٢١] فإنَّ تقدير الكلام: وإن من شيء نافع، فحذف الصفة؛ لأنَّ في الآية السابقة دلالة على هذا التقدير المحذوف في قوله تعالى: { وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ}[الحِجر:١٩](٢).

ومما جاء من غير هذا اللفظ قوله تعالى: {فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}[سبأ:١٩] قدرها ابن عاشور بأحاديث منتشرة بين الناس فيها عظة واعتبار لمن تأمل تحول حالهم ومآلهم، وربطها بآية سورة الكهف(٣).

وسأذكر الآيات الأخرى مع بيان من ذكرها من المفسرين:

- قوله تعالى: {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُون}[الأنعام:٤٤] ذكرها ابن عاشور ٢٣٠/٧.
- قوله تعالى: {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ يُؤْمِنُون}[الأنعام:١٥٤] ذكرها ابن عاشور ١٧٧/٨.

---

(١) التحرير والتنوير ٦/ ٢٦٥.

(٢) المرجع السابق ١٤/ ٣٦.

(٣) التحرير والتنوير ٢٢/ ١٧٨.

- قوله تعالى: {وَإِن مَّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا}[الإسراء:٥٨] ذكرها ابن عاشور ١٤١/١٥.
- قوله تعالى:{وَيَقُولُ الإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا}[مريم:٦٦] ذكرها ابن عاشور ١٤٤/١٦.
- قوله تعالى: {وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون} [الزُّخرُف:٤٨] ذكرها ابن عاشور ١٧٨/٢٢.

<u>الآية الثالثة</u>: قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا }[الرعد:٣١]، هذه الآية عُدت أصلاً في حذف الأجوبة عموماً، وفي حذف جواب (لو) خصوصاً، فقد كثر حذف جوابها في القران في تسع وعشرين آية[١]، وذكر المفسرون لهذا الحذف أغراضاً منها: علم المخاطب به، وأنّه أفخم وأبلغ خصوصاً في آيات الوعيد لذهاب المخاطب المتوعد إلى كل ضرب من الوعيد بخلاف ما لو حُدد له ضرب من الوعيد معين، وأنَّ فيها تفخيمًا للأمر وتعظيمه [٢]، وهي من الآيات التي عُدت أصلاً لغوياً استفاد منه البلاغيون فيما بعد حيث ذكرها أصحاب كتب معاني القرآن كالأخفش وابن قتيبة ومن المفسرين الطبري[٣]، فحذف الأجوبة أُصل من خلال هذه الآية، وقرنها كثير من المفسرين بمجموعة من الشواهد وصلت إلى عشر آيات؛ سواء أبدأت بـ(لو) الشرطية أم لا، **فمن الأول** أحالوا لها أربع آيات **هي:** قوله تعالى: { وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً} [البقرة:١٦٥] ففي هذه الآية حُذف جواب الشرط للعلم به، ولأنَّ سياق الكلام يدل عليه، والجامع بين الآيتين التهويل والتعظيم مع اختلاف الجهة، فتقدير الآية: لو كان في الكتب السماوية كتاب من صفته أنَّ الجبال تسير به وتنشق الأرض ويكلم به الموتى لكان هذا

(١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عضيمة ٦٥٨/٢-٦٦١.

(٢) تفسير الطبري ٢/ ٢٤١، والتفسير البسيط ٣/ ٤٧١-٤٧٢، والتحرير والتنوير ٩٤/٢.

(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥٥٨، وتأويل مشكل القران ٢١٤، وتفسير الطبري ٢٢/٣.

القرآن هو المتصف بذلك، وتهويل العذاب وتعظيمه حاضر في الآية الأخرى **أي:** لرأيت عذاباً مهولاً يُعذب به هؤلاء الظالمون(١).

وقوله تعالى: {وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِين} [الأنعام:٢٧]، قدّر أبو حيان الجواب المحذوف بأنَّه "لرأيت أمراً شنيعاً وهولاً عظيماً"(٢)، وهذه الآية جُعلت أصلاً عند بعض المفسرين واستشهدوا بها لآية البقرة السابقة(٣).

وقوله تعالى: {قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيد}[هود:٨٠]، فلوط عليه السلام ذكر قلة حيله، وبيَّن أسباب ضعفه، فحذف جواب الشرط وتقديره: لو كانت لي القوة أو أحد استند عليه لفعلت بكم وصنعت ما يجعلكم ترتدعون عن فعلتكم الشنيعة هذه(٤).

وقوله تعالى: {لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لاَ يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلاَ عَن ظُهُورِهِمْ وَلاَ هُمْ يُنصَرُون}[الأنبياء:٣٩] قدّر ابن عطية المحذوف (لو يعلم الذين كفروا حين استعجلوه) وذكر أنَّ حذفه للإيجاز والإبهام(٥).

ومن الثاني قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِين}[البقرة:٨٩] جواب (لما) اختلف فيه المفسرون على ثلاثة آراء منها رأي الأخفش والزجاج(٦) : أنَّ جوابه محذوف يدل عليه سياق الكلام، والأخفش ذكر أنَّ من خصائص الكلام الطويل أنّ تُحذف منه أجوبته، ويكون المعنى مستغنٍ بما في الآية(٧).

(١) يُنظر تفسير الطبري ٢٢/٣، وتفسير الثعلبي ٣٥/٢، وتفسير البغوي ١/ ١٧٩.
(٢) البحر المحيط ٤/ ٤٧٣.
(٣) الكشاف ٣٢٦/١.
(٤) المصدر السابق ٢/ ٢٨٣، والبحر المحيط ٦/ ١٨٨.
(٥) المحرر الوجيز ١٧٠/١٧.
(٦) تفسير الطبري ٢٤١/٢، وتفسير الرازي ٣/ ١٦٤.
(٧) معاني القرآن ١/ ١٤٢.

وربطت بقرينتها الشرطية وهي (لولا) فقد ذكر الزمخشري أنَّ هذا الأداة كثيراً ما يُحذف جوابها كما في {وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا}[الكهف:٣٩]، ذكر الزمخشري أنَّ جواب (لولا) محذوف وتقديره: "هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها: الأمر ما شاء الله، اعترافا بأنها وكلّ خير فيها إنما حصل بمشيئة الله وفضله"(١).

وقوله تعالى: {قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا}[الفرقان:٧٧]، ذكر القرطبي أنَّ جواب (لولا) محذوف، وتقدير الكلام: (لم يعبأ بكم)(٢).

وربطها ابن عطية بحذف المقابل في تحليله لقوله تعالى: {أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُون}[هود:١٧]، ففي هذه الآية حُذف المعادل؛ لأنَّ هذا الاستفهام بهذا التركيب يُقارن بين متباينين والآية مذكور فيها من آمن والمحذوف هو المقابل له، وهو من كفر، فتقدير الآية: "أفمن كان على بينة من ربه كمن كفر بالله وكذب أنبياءه"(٣).

وأختم بقوله تعالى: {الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيد}[الحديد:٢٤]، فالاسم الموصول مبتدأ حُذف خبره تقبيحاً لهذه الخصلة والمتصف ففيها تهديد وذم له، مع الإبهام الذي يجعل النفس تذهب في تقدير الوعيد والذم(٤)(٥).

---

(١) الكشاف ٢/ ٤٨٥، وتفسير القاسمي ٣٥/٧.

(٢) تفسير القرطبي ٤٩٣/١٥.

(٣) المحرر الوجيز ٥٥٥/١٢.

(٤) تفسير الطبري ٤٢٣/٢٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٦٩.

(٥) والشاهد العاشر آية (٤٩) من سورة فصلت ذكرها الطبري ٤٥١/٢٠.

الآية الرابعة: قوله تعالى: {سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ } [النحل:٨١] فالمراد تقيكم الحر والبرد، فهذه الآية جُعلت شاهداً رئيسًا عند مجموعة كبيرة من المفسرين في أسلوب الاكتفاء ويُقصد به: " أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفى بأحدهما عن الآخر، ويختص بالارتباط العاطفي"(١)، والاكتفاء بأحدهما ليس اعتباطاً، بل هو لنكتة في المذكور جعلت الكلام يقتصر عليه، والشاهد المشهور في هذا الأسلوب هي آية النحل كما نص على ذلك الإمام الزركشي(٢)، فآية سورة النحل ذكر العلماء أن الاقتصار فيها على الحر دون البرد أتى مناسباً لطبيعة البلاد العربية التي ينتمي لها المخاطبون في الآية، وقيل: إنَّ في ذكر أحد المتعاطفين دليل على الآخر(٣)، والواحدي أجاد في تتبع هذا الأسلوب، فقد استشهدوا بها لاثنتين وثلاثين آية منها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون﴾[الأنعام:٩٩]، فهذه الآية وردت للتدليل على قدرة الله ﷻ فذكر شيئاً مما يمن به على عباده من هذا الماء الذي ينزل من السماء، فيخرج به الأشجار والنخيل التي اقتصر في ذكر قنوانها على الداني دون البعيد فعلل ذلك بتعليلات مختلفة منها: أنَّ النعمة فيه أظهر وأدل، وقرنت بآية سورة النحل(٤)، فهذه النعمة أتت للتدليل على أنهم في نعيم لا يحتاجون معه إلى جهد في تحصيل طعامهم، فيكف أن يمد أحدهم يده لينال ما يُريد.

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١١٨/٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) يُنظر تفسير الطبري ٣٢٢/١٤-٣٢٤.

(٤) الكشاف ٢/ ٣٩، وتفسير البغوي ١٧٢/٣، وتفسير النسفي ٥٢٥/١، والبحر المحيط ٥٩٧/٤، وتفسير القاسمي ٤/ ٤٤٥.

ومن الشواهد قوله تعالى: {بِيَدِكَ الْخَيْرُ} [آل عمران:٢٦]، فالله ﷻ بيده الخير والشر، ولكن ذُكر أحدهما لأنَّ في ذكره دلالة على نظيره(١)، وخصص الخير بالذكر؛ لأنّه هو الأغلب والأفضل(٢).

ويرد هذا الحذف بكثرة في الأمثال القرآنية كقوله تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُون} [البقرة:١٧١]، ذكر الواحدي أنَّ بعض المفسرين واللغويين كالأخفش والزجاج وابن قتيبة ذكروا أنَّ في الآية إضمارًا وتقديره: "ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا في وعظهم ودعائهم إلى الله ﷻ فحذف أحد المثلين اكتفاء بالثاني"(٣).

وسأذكر الآيات الأخرى مع بيان من ذكرها من المفسرين:

- قوله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِين}[البقرة:٢] ذكرها الواحدي في التفسير البسيط ٥٤/٢.
- قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا }[البقرة:٢٦] ذكرها أبو حيان ١٩٩/١ والألوسي ٢٠٧/١.
- قوله تعالى:{وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُون}[البقرة:١٧١] ذكرها الواحدي ٤٩١/٣.
- قوله تعالى:{فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَق}[البقرة:٢٠٠] ذكرها الواحدي ٥٩/٤ والرازي ٢٣٤/٥ والنيسابوري ٥٦٦/١.
- قوله تعالى:{لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيم}[البقرة:٢٧٣] ذكرها الواحدي ٤٥٧/٤.

---

(١) التفسير البسيط ٥/ ١٥٩، التحرير والتنوير ٣/ ٢١٤.

(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ١٥٩، وتفسير البغوي ٢٤/٢، وفتح القدير ٣٧٩/١، والتحرير والتنوير ٢١٣/٣.

(٣) التفسير البسيط ٣/ ٤٩١

- قوله تعالى:{لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا}[النساء:١٧٢] ذكرها أبو حيان ١٤٧/٤.
- قوله تعالى:{أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُون}[المائدة:٩٦] ذكرها عبد القاهر الجرجاني في درج الدرر ٦٨٩/٢.
- قوله تعالى:{وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيم}[الأنعام:١٣] ذكرها عبد القاهر الرجاني في تفسيره ٧٠٧/٢ والبغوي ٣٣١/٣ والشهاب في حاشيته ٣٠/٤.
- قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِين}[الأنعام:٥٥] ذكرها الواحدي ١٨٢/٨ والنيسابوري ٨٨/٣.
- قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ }[الأنعام:١١٢] ذكرها القرطبي ٥٠٢/٨.
- قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ }[الأعراف:٥٤] ذكرها القرطبي ٢٤١/٩ والشوكاني ٢٤١/٢.
- قوله تعالى:{قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون}[الأعراف:١٨٨] ذكرها الواحدي ٥٠٧/٩ والرازي ٨٩/١٣ وأبو حيان ٢٤٢/٥.
- قوله تعالى:{قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيد}[هود:٨٧] ذكرها الواحدي ٥٢٥/١١.
- قوله تعالى:{لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِين}[يوسف:٧] ذكرها أبو حيان ٢٤٠/٦.
- قوله تعالى:{وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاء وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُون}[الرعد:٤] ذكرها القرطبي ٩/١٢.

- قوله تعالى:{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَال}[الرعد:١٣] ذكرها القرطبي ٩/١٢.
- قوله تعالى:{وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّار}[إبراهيم:٣٤] ذكرها الواحدي ٤٨١/١٢ والقرطبي ١٤٤/١٢.
- قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون}[النحل:١٤] ذكرها عبد القاهر في تفسيره المنسوب له ١٠٦٨/٣.
- قوله تعالى:{وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا}[الإسراء:١٦] ذكرها الشهاب ١٧/٦.
- قوله تعالى:{وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُون}[النمل:١٠] ذكرها الواحدي ١٧/ ١٧٤.
- قوله تعالى:{قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُون}[النمل:٤٩] ذكرها أبو حيان ٢٥١/٨.
- قوله تعالى:{إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُون}[يس:٨] ذكرها القرطبي ٤١٣/١٧.
- قوله تعالى:{إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِين}[يس:١٢] ذكرها الرازي ٤٩/٢٦ والنيسابوري ٥٢٧/٥.
- قوله تعالى:{لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُون}[يس:٤٠] ذكرها النيسابوري ٥٣٣/٥.
- قوله تعالى:{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِق}[الصافات:٥] ذكرها النيسابوري ٥/ ٥٥٤ والقرطبي ١٠/١٨.
- قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُون}[الجمعة:٩] ذكرها القرطبي ٤٧٤/٢٠.
- قوله تعالى:{قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا}[الإنسان:١٦] ذكرها القرطبي ٢١/ ٤٧٥.

- قوله تعالى:{فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى}[الأعلى:٩] ذكرها البغوي ٨/ ٤٠١ والرازي ١٤٥/٣١ والقرطبي ٢٢٩/٢٢.
- قوله تعالى:{إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى}[الليل:١٢] ذكرها الطبري ٤٧٧/٢٤ والثعلبي ٤٤٩/٢٩ والبغوي ٤٤٧/٨ والقرطبي ٣٢٨/٢٢.

الآية الخامسة: قوله تعالى: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ} [الأنعام:٣٨] فقد ذكر المفسرون أنّ قوله: {يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ} زيدت في الآية؛ لأنَّ الطائر لا يطير إلا بجناحين، وذكرها المفسرون في أسلوبين من الكلام:

الأسلوب الأول: أنَّها زائدة، وتأتي لأغراض منها التأكيد، وهو الغرض الغالب عليها، وأمثال هذه الزيادات المعلومة من خلال السياق يراد بها أغراضاً بلاغية، منها: التأكيد والتصوير ورفع احتمال المجاز وإفادة الشمول، وأكثرها ذكراً هو التأكيد، وقد ذكر البلاغيون هذه الآية كالسكاكي الذي ذكر أنَّ المراد من هذا القيد هو بيان الجنس(١)، وأحال عليها سبعة وعشرين شاهداً تأتي وفق الأغراض السابقة وهي:

الغرض الأول: التصوير: يكثر هذا الغرض في الآيات التي فيها ذكر للأماكن فتزاد فيها هذه الزيادات ، ولكن بعض المفسرين يذكر هذا الغرض مع ترديده مع التأكيد كما سيرد معنا، وهذا الغرض ذكره ابن عاشور في مواطن خمس مستعينا بالآية الأصل، وأولها قوله تعالى: {أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاء فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ }[البقرة:١٩](٢)، فمن المعلوم أنَّ الصيب لا يكون إلا من السماء، وذكره هنا للتصوير، ومما ذكره ابن عاشور قوله تعالى: {يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}[العنكبوت:٥٥] (العنكبوت: ٥٥)، فإنَّ قوله: {مِن فَوْقِهِمْ} جيء به لتصوير شدة العذاب وقوته، وتفظيع أمره، وتأكيد

(١) مفتاح العلوم ١٩٠.

(٢) التحرير والتنوير ١/ ٣١٧.

الغشيان لدفع توهم المجاز[١]، ووردت هذه الزيادة في آية أخرى وهي قوله تعالى: { فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ }[النحل:٢٦] وجعلها ابن عاشور للتصوير[٢].

ورددت هذه الزيادة بين التأكيد والتصوير في قوله تعالى: {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ}[ص:٤٢]، فالركض لا يكون إلا بالأرجل، فهو إما للتأكيد لأنّه أمر من الله ﷻ أو للتصوير لأنّه ورد في إطار قصة قصيرة وردت في أربع آيات جاء في الصبر، فهو "زيادة بيان الفعل"[٣].

والآية الخامسة هي قوله تعالى: {مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ} [الأحزاب:٤] ، فقوله تعالى: {فِي جَوْفِهِ} جاء للتصوير؛ لأنّ القلب لا يكون إلا فيه[٤].

الغرض الثاني: الشمول والإحاطة: جعل الزمخشري أمثال هذه الزيادات للإحاطة والشمول[٥]، وقرنها الطيبي شارح الكشاف بقوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ} [لقمان:٢٧]، فذكر السبعة في الآية لإفادة هذه المعنى، وذكر أنّه لو وردت هذه الآية بقول: والبحر يمده مداداً لزال معنى الشمول المراد[٦].

الغرض الثالث: التأكيد: هذا الغرض هو الذي أطبقت عليه كلمة المفسرين، فلا يكادون يحللون الزيادة بشبه الجملة في الآيات المختلفة إلا ويذكرون أنّ أمثال هذه الزيادات للتأكيد، وهو غرض ذكره قدماء المفسرين كالطبري[٧].

وشواهد هذا الغرض التي ربطت مع آية سورة الأنعام كثيرة منها قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ} ذكر الرازي أنَّ ابن

(١) المرجع السابق ٢١/ ٢٠.
(٢) المرجع السابق ٩/ ١٤٤.
(٣) المرجع السابق ٢٣/ ٢٧٠.
(٤) المرجع السابق ٢١/ ٢٥٦.
(٥) الكشاف ١٧/٢.
(٦) يُنظر فتوح الغيب ١٢/ ٣٠٩.
(٧) تفسير الطبري ٩/ ٢٣٦.

الأنباري تساءل عن فائدة ذكر الدين في هذه الآية رغم أنّه مفهوم من قوله: {تَدَايَنتُم} فأجاب الرازي بأنَّه للتأكيد، واستشهد على ذلك بآية الأنعام(١).

وقوله تعالى: { يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ }[آل عمران:١٦٧]، ذكر ابن عطية وأبو حيان أنَّ {بِأَفْوَاهِهِم} شبه الجملة أُتي بها للتأكيد كما في آية الأنعام(٢)، وهذا التركيب ورد في القرآن ثلاث مرات(٣) بعد فعل القول كلها أُتي بها للتأكيد(٤).

وقوله تعالى: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِين}[الشعراء:٢١٥] ذكر ابن عاشور أنَّ شبه الجملة للتأكيد(٥)؛ لأنَّ أتباعه لا بد أن يكونوا من المؤمنين، وهم من يستحقون الرحمة والرأفة، ولذا ربطها بآية الأنعام، ولم أجد أحداّ ذكرها غيره.

وسأذكر الآيات الأخرى مع بيان من ذكرها من المفسرين:

- قوله تعالى:{فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ }[البقرة:٧٩] ذكرها الثعلبي ٢٢٥/١ والشوكاني ١٢٣/١ وابن عاشور ٥٧٧/١.
- قوله تعالى:{وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ }[البقرة:١٠٩] ذكرها ابن عطية ١/ ١٩٦ وأبو حيان ٥٥٩/١.
- قوله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ}[البقرة:١٦٤] ذكرها السمين الحلبي ٢٠١/٢.
- قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ} [البقرة:١٧٤] ذكرها أبو حيان ١٢١/٢.

---

(١) تفسير الرازي ٧/ ١١٧-١١٨، ويُنظر الكشف والبيان عن تفسير القران ٢/ ٢٩٠، وتفسير البغوي ١/ ٣٩٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤١٦/٤، والبحر المحيط ٣/ ٤٢٦.

(٣) سورة المائدة ٤١، وسورة التوبة ٣٠.

(٤) البحر المحيط ٥/ ٤٠٣، وفتح القدير ٢/ ٤٠٢.

(٥) التحرير والتنوير ١٩/ ٢٠٣.

- قوله تعالى:{وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ }[البقرة:٢٨٣] ذكرها الطيبي ٥٦٧/٣.
- قوله تعالى: {وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُون}[آل عمران:١٤٣] ذكرها القرطبي ٣٤٠/٥.
- قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}[النساء:١٠] ذكرها الرازي ٥٠٧/٩ وأبو حيان ٥٣٢/٣.
- قوله تعالى: {قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ}[الأنعام ١٤٥] ذكرها الطيبي ٢٧٥/٦ وابن عاشور ١٣٨/٨.
- قوله تعالى: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُون}[هود:٢٨] ذكرها ابن عطية ١٦٤/٣.
- قوله تعالى: {أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ}[الرعد:١٧] ذكرها أبو حيان ٣٧٣/٦.
- قوله تعالى:{مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ }[الكهف:٥] ذكرها الطيبي في حاشيته ٤٠٩/٩.
- قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُور}[الحج:٤٦] ذكرها الثعلبي ٧/ ٢٧ والبغوي ٣٩١/٥ وابن عاشور ٢٨٩/١٧.
- قوله تعالى:{وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُون}[المؤمنون:١١٧] ذكرها الزمخشري في الكشاف ٤٥/٣.
- قوله تعالى: {وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ} [العنكبوت:٤٨] ذكره ابن عاشور ١١/٢١.
- قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاء رَبِّهِمْ لَكَافِرُون}[الروم:٨] ذكرها ابن عاشور ٥٢/٢١.

- قوله تعالى: {إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى}[النجم:٤] ذكرها الرازي ٢٨٤/٢٨.
- قوله تعالى:{وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى}[النجم:٢٠] ذكرها البيضاوي ١٥٩/٥.
- قوله تعالى:{وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ}[الحاقة:١٧] ذكرها ابن عاشور ١٢٨/٢٩.

ولا يعني هذا أنَّ هذه الآية استأثرت بالإحالة عليها، فقد كانوا يُحيلونها ويُحيلون إلى غيرها، ولكن هذه الآية كانت الأكثر حضوراً في مجال الاستشهاد لهذا الأسلوب، ومن هذه الشواهد قوله تعالى: { ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ } [التوبة:٣٠] (١).

الأسلوب الثاني: أنّها من أسلوب التتميم **وهو:** أن يُؤتى في كلام لا يُوهم خلاف المقصود بفضلة تُفيد نكتة(٢)، وهذا الرأي ذكره أبو حيان في موضع واحد، وهو قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}[البقرة:٢٠٦] لأنَّ العزة من المشترك اللفظي الذي يحمل المعنى المحمود أو المذموم(٣)، فالمحمودة ما كانت في جنب طاعة الله والمذمومة ما كانت بخلافها، فجيء بهذا القيد حتى يخصص ويؤكد أنّها من العزة المذمومة(٤).

<u>الآية السادسة</u>: من أساليب الإطناب عطف الخاص على العام، ووجدت أنَّ المفسرين ذكروا ثلاث آيات جعلوها أصولاً لهذا الأسلوب تتفاوت فيما بينها بالكثرة، وهي من الشواهد المشهورة في البلاغة التنظيرية، وأكثرها تداولاً عندهم قوله تعالى: {مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ}[البقرة:٩٨]، هذه الآية ذكرها قدامى اللغويين كالزجاج(٥)، واستشهدوا بها

(١) درج الدرر ١/ ٢١٤، والمحرر الوجيز ٢٩٥/١٠.
(٢) الإيضاح مع البغية ٢/ ١٢٧-١٢٨.
(٣) يُنظر المفردات للراغب الأصفهاني ٣٣٣.
(٤) البحر المحيط ٢/ ٣٣٢-٣٣٣.
(٥) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٠/١.

لتقرير هذا الأسلوب في مجموعة من الآيات بلغت أربعاً وثلاثين آية منها قوله تعالى: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ}[المؤمنون:٤٥]، فُسر السلطان هنا بعصا موسى عليه السلام فهي أعظم الآيات التي أعطي إياها، وتعلقت بها معجزات عدة ذكرها الزمخشري منها انقلابها حية، وأكلها ما صنعته السحرة، وأنها كانت سبباً في انفلاق البحر وغير ذلك، ولذا شُرفت بالذكر كما شُرف الملكان بالذكر(١).

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ }[المائدة:٢]، فقد ذكر القاسمي أنَّ ذوات القلائد داخلة في الهدي إلا أنَّه خُصَّ بمزيد ذكر لإرادة التشريف والتفضيل(٢).

وسأذكر الآيات الأخرى مع من ذكرها من المفسرين:

- قوله تعالى:{والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُون}[البقرة:٤] ذكرها الرازي ٣٥/٢.
- قوله تعالى:{وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ }[البقرة:٤٥] ذكرها الواحدي ٤٥٦/٢.
- قوله تعالى:{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ }[البقرة:٩٣] ذكرها ابن عاشور ٣٥/٧.
- قوله تعالى:{فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىَ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُون}[البقرة:٢٣٠] ذكرها الواحدي ٢٣٥/٤ والرازي ١١٥/٦.
- قوله تعالى:{وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوَاْ آيَاتِ اللّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ }[البقرة:٢٣١] ذكرها أبو حيان ٤٩١/٢.

---

(١) يُنظر الكشاف ٣/ ١٨٨- ١٨٩.

(٢) الكشاف ٥٩١/١، وتفسير الرازي ١٣١/١١ وتفسير القاسمي ٤/ ٩.

- قوله تعالى:{حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِين}[البقرة:٢٣٨] ذكرها الثعلبي ١٩٤/٢ وابن الجوزي ٢١٤/١ وأبو حيان ٥٤٤/٢.
- قوله تعالى:{إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِين}[آل عمران:٦٨] ذكرها أبو حيان ٢٠٣/٣.
- قوله تعالى:{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون}[آل عمران:١٠٤] ذكرها أبو حيان ٢٩٠/٣.
- قوله تعالى:{فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِير}[آل عمران:١٨٤] ذكرها الرازي ١٢٨/٩.
- قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلا}[النساء:١٣٧] ذكرها الرازي ٨٠/١١.
- قوله تعالى:{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا}[النساء:١٦٣] ذكرها الرازي ١١/ ١١٠ وأبو السعود ٢٦٣/٢ والشوكاني ٦٢٠/١.
- قوله تعالى:{لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِين}[المائدة:٩٣] ذكرها ابن عاشور ٣٥/٧.
- قوله تعالى: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُون}[الأنعام:٣٨] ذكرها أبو حيان ٥٠١/٤.
- قوله تعالى: {وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ }[الأنعام:١٥٢] ذكرها الرازي ٢٤٥/١٣.
- قوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون}[الأعراف:٣٣] ذكرها الرازي ٧٠/١٤.

- قوله تعالى:{رَبِّ مُوسَى وَهَارُون}[الأعراف:١٢٢] ذكرها الواحدي ٢٨٦/٩.
- قوله تعالى:{وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ }[الأنفال:٤١] ذكرها الزمخشري ١٥٩/١ وأبو حيان ٣٢٤/٥.
- قوله تعالى:{وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ }[الأنفال:٦٠] ذكرها الزمخشري ١٦٦/١ وابن عطية ٥٤٦/٢.
- قوله تعالى:{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ }[التوبة:٣٦] ذكرها ابن الجوزي ٢٥٧/٢.
- قوله تعالى:{وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}[التوبة:٦١] ذكرها الرازي ١٢٠/١٦.
- قوله تعالى:{وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِين}[يونس:٦١] ذكرها الرازي ١٢٧/١٧.
- قوله تعالى:{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِين}[يوسف:٤] ذكرها الرازي ٨٩/١٨.
- قوله تعالى:{وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلآئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَال}[الرعد:١٣] ذكرها الرازي ٢٧/١٩.
- قوله تعالى: {وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُون}[النحل:٤٩] ذكرها الواحدي ٨١/١٣.
- قوله تعالى:{وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا}[الكهف:٤] ذكرها الرازي ٧٨/٢١.

- قوله تعالى:{قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا}[مريم:٢٠] ذكرها الرازي ٢٠٠/٢١.
- قوله تعالى:{وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُون}[الأنبياء:١٩] ذكرها أبو السعود ٣٤٩/٤.
- قوله تعالى:{ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِين}[المؤمنون:٤٥] ذكرها الزمخشري ٣٣/٣ وأبو حيان ٥٦٥/٧.
- قوله تعالى:{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا}[الأحزاب:٧] ذكرها الواحدي ١٨٢/١٨.
- قوله تعالى:{مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُون}[الأحقاف:٣] ذكرها ابن عاشور ٨/٢٦.
- قوله تعالى:{فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّان}[الرحمن:٦٨] ذكرها الزمخشري ٤/ ٥٠ والبغوي ٤٥٧/٧.
- قوله تعالى:{وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}[نوح:٢٣] ذكرها ابن عاشور ٢٠٩/٢٩.
- قوله تعالى:{إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْف}[قريش:٢] ذكرها الرازي ١٠٦/٣٢.

<u>الآية السابعة:</u> قوله تعالى: {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّان}[الرحمن:٦٨] فهذه الآية ذكرها أوائل النحاة من هذا الأسلوب وإن لم يسموها باسمه الذي عُرف به، فقد ذكر يونس النحوي أنَّ النخل والرمان خصا بالذكر لفضلهما على سائر الفاكهة(١)، وعدها المفسرون أصلاً يستشهدون به في تقرير هذا الأسلوب والاستشهاد بها أقل من سابقها فقد استشهد بها فيما وقفت عليه لإحدى عشرة آية منها قوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا}[الفرقان:٦١] فقد

(١) يُنظر معاني القرآن وإعرابه ١/ ٣٢٠، ١٠٣/٥.

قرأ حمزة والكسائي قوله: {سِرَاجًا} بالجمع (سُرُجا) بمعنى النجوم، وخص القمر بعد ذلك لفضيلته(١).

وقوله تعالى: {تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ}[القدر:٤] فقد خُص جبريل بالذكر تشريفاً له(٢).

وسأذكر الآيات الأخرى مع من ذكرها من المفسرين:

- قوله تعالى:{وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ }[البقرة:٤٥] ذكرها الواحدي ٤٥٦/٢.
- قوله تعالى:{مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ}[البقرة:٩٨] ذكرها الواحدي ١٧٨/٣ والبغوي ١٢٥/١.
- قوله تعالى:{وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ }[البقرة:١٠٢] ذكرها القرطبي ٢٨٣/٢.
- قوله تعالى:{حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ}[البقرة:٢٣٨] ذكرها القرطبي ١٧٥/٤.
- قوله تعالى:{إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ}[آل عمران:٦٨] ذكرها القرطبي ١٦٦/٥.
- قوله تعالى:{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون}[آل عمران:١٠٤] ذكرها جمال الدين القاسمي ٣٧٤/٢.
- قوله تعالى:{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا}[الأحزاب:٧] ذكرها الواحدي ١٨٢/١٨.
- قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاء اللَّهُ عَلَيْكَ }[الأحزاب:٥٠] ذكرها القرطبي ١٨٠/١٧.
- قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون}[فُصِّلَت:٢٠] ذكرها القاسمي ٣٣١/٨.

---

(١) تفسير الثعلبي ٧/ ١٤٤ ، وتفسير البغوي ٦/ ٩٢.

(٢) إعراب القرآن وبيانه ١٠/ ٥٣٨.

الآية الثامنة: قوله تعالى: {حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِين}[البقرة:٢٣٨]، ومن أقدم من اتخذها أصلاً في تقرير هذا الأسلوب الفراء(١)، وخُصت صلاة العصر أو الفجر بالذكر لفضلها وشرفها، ففي تخصيصها بالذكر تدليل على أهميتها وأنها مما ينبغي الحرص عليها كثيراً، وعدم التفريط في وقتها كما خص جبريل وميكائيل بالذكر لفضلهما وشرفهما(٢)، واستشهد بها لثمان آيات كاستشهاد الزمخشري بها في تحليله لهذا الأسلوب في قوله تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون}[آل عمران:١٠٤]، فشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الشعائر في دين الله ولأهميتها ذكرت بعد ذكرها عموماً في لفظ (الخير)(٣).

وقوله تعالى: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى}[طه:١٣٠]، ففي هذه الآية خُصص أطراف النهار بالذكر بعد أن ذكر بصيغة العموم في قوله: {وَقَبْلَ غُرُوبِهَا} للاهتمام بهذا الوقت(٤).

وسأذكر الآيات الأخرى مع من ذكرها من المفسرين:

- قوله تعالى: {إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ} [المائدة:١١٠] ذكرها الرازي ١٣٣/١٢.
- قوله تعالى: {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ }[التوبة:٣٦] ذكرها الطبري ٤٤٧/١١.

---

(١) معاني القرآن ١١٩/٣.

(٢) يُنظر تفسير الثعلبي ١٩٤/٦٢.

(٣) الكشاف ١/ ٣٩٨، وفتوح الغيب ٤/ ٢١٠.

(٤) التحرير والتنوير ١٦/ ٣٣٨.

- قوله تعالى: {وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِين}[هود:١٢٠] ذكرها الواحدي ٥٩٣/١١.
- قوله تعالى: {قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا}[مريم:٢٠] ذكرها الرازي ٢٠٠/٢١.
- قوله تعالى: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى} [طه:١٣٠] ذكرها الزمخشري ٥٥٨/٢.
- قوله تعالى: {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّان} [الرحمن:٦٨] ذكرها الطبري ٢٦١/٢٢ والواحدي ١٩٦/٢١.

والآيات الثلاث يستشهد بعضها لبعض فقد استشهد بالأصل الأول للأصل الثالث والعكس وقع[١].

**

(١) يُنظر الوسيط للواحدي ١٨٠/١، وتفسير البغوي ١٢٥/١، والكشاف ٤/ ٤٥٣.

المبحث السادس
شواهد المجاز

للمجاز صور مختلفة ذكرها البلاغيون منها الاستعارة والمجاز المرسل والمجاز العقلي، وذكروا لهذه الأساليب أقساماً وصوراً استشهدوا لها بشواهد متنوعة كثر الاستشهاد بها في كتب المفسرين، ووجدت أنهم أكثروا الاستشهاد بشاهدين أحدهما للاستعارة والآخر للمجاز العقلي.

الآية الأولى: قال تعالى: {فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}[الانشقاق:٢٤]، وظف القرآن الكريم أسلوب السخرية في صور متنوعة منها: نقل الألفاظ عن معانيها الحقيقة وتفريغها من مدلولها الإيجابي وتحميلها معنى سلبياً عن طريق الضدية الحاضرة في الاستعارة العنادية التهكمية كما في هذه الآية، فقد نُزل التضاد منزلة التناسب عن طريق هذا التهكم، فالبشارة في المعجم تدل على الخبر السار، واستعمالها في غيره هو من باب السخرية، وهذه الآية وردت بهذا التركيب في القرآن ثلاث مرات(١)، وابن أبي الأصبع المصري ذكر التهكم نوعاً برأسه في علم البديع، وعرفه من خلال ضرب الأمثلة، فذكر أنّه "الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار، والوعد في مكان الوعيد، والمدح في معرض الاستهزاء"(٢)، وهذا التعريف استقاه من آيات القرآن الكريم التي ورد فيها هذا الأسلوب، وأدق منه ما ذكره العلوي: "إخراج الكلام على ضد مقتضى الحال استهزاءً بالمخاطب"، وذكر أنّه كثير الورود في كلام الله تعالى(٣)، ومن أوصاف التهكم في القرآن أن ظاهره جد بينما هو استهزاء بهم، وهذه الآية أتت للوعيد في معرض الوعد تهكماً بالمخاطبين، وورود مثل هذا الأسلوب كثير في القرآن بلغت فيما وقفت عليه مما استشهد بالآية الأصل أربعاً وعشرين آية كقوله تعالى: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ

(١) آل عمران ٢١، والتوبة ٣٤.
(٢) تحرير التحبير ٥٦٨.
(٣) الطراز ١٦٢/٣.

وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيم}[البقرة:٢٦٨] فالوعد هنا يمكن حمله على الاستهزاء كما ذكر الرازي، ولتدعيم هذا الرأي استشهد بالآية الأصل(١).

ومن شواهده قوله تعالى: {وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُون}[الحِجر:٦]، فهذا النداء منهم له هو من باب السخرية به بدليل وصفهم له بالجنون في آخر الآية، فقرنها الإمام النسفي بالآية الأصل(٢).

وكثر الاستهزاء في ألفاظ النزل والمأوى والمستقر في القرآن في الآيات التي تتحدث عن مصير الكفار وأنَّ جهنم هي مستقرهم ونزلهم، وقد وردت في سياقات الوعيد كالحديث عن مصير المعاند الجاحد كقوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَاد}[البقرة:٢٠٦]، فالمهاد في أصله اللغوي يدل على مهد الصبي، فبدل من هذا المهاد الذي يدل على السكينة والهدوء سيكونون في جهنم، فكان بالإمكان أن يُقال: (ولبئس المصير أو المثوى) ولكن ذُكر المهاد استهزاءً بهم(٣).

وسأذكر الآيات الأخرى مع بيان من ذكرها من المفسرين:

- قوله تعالى:{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُون}[البقرة:٢٢] ذكرها الطيبي ٣١٠/٢.
- قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِين}[البقرة:٦٧] ذكرها الألوسي ٢٨٦/١.
- قوله تعالى: {بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون}[البقرة:٨٠] ذكرها البيضاوي ١/ ٩٠ وأبو السعود ١٨١/١.

---

(١) تفسير الرازي ٧/ ٦٩، وتفسير النيسابوري ٤٥/٢.

(٢) تفسير النسفي ٢/ ١٨٣.

(٣) فتح القدير ٢٤٠/١.

- قوله تعالى: {إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ}[آل عمران:١٥٣] ذكرها البغوي في تفسيره ١٢٠/٢ وابن عاشور ١٣١/٤.
- قوله تعالى: {مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا}[النساء:٨٥] ذكرها النيسابوري في تفسيره ٤٦٠/٢.
- قوله تعالى:{بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}[النساء:١٣٨] ذكرها أبو حيان ١٠١/٤.
- قوله تعالى:{قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ}[المائدة:٦٠] ذكره الرازي ٣٨/١٢ والنسفي ٤٥٧/١ والنيسابوري ٦١١/٢.
- قوله تعالى: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}[الأعراف:٤٤] ذكرها الألوسي ٩١/٣.
- قوله تعالى: {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُون}[الأعراف:٢٠٢] ذكرها الرازي ١٠٥/١٥ والنيسابوري ٣٦٦/٣.
- قوله تعالى: {وَعَدَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيم}[التوبة:٦٨] ذكرها الألوسي ١٣٣/١٠.
- قوله تعالى: {فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُون}[يونس:٩٢] ذكرها الرازي ١٦٣/١٧.
- قوله تعالى:{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ } [الرعد:١١] ذكرها الألوسي ١١٣/١٣.
- قوله تعالى:{وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُون}[الحجر:٦] ذكرها الرازي ١٦٢/١٩.

- قوله تعالى: {أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاء إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً}[الكهف:١٠٢] ذكرها الزمخشري ٢/ ٥٠٠ والرازي ١٧٥/٢١ وأبو حيان ٢٣٠/٧.
- قوله تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُون}[السجدة:٢٠] ذكرها الزمخشري ٢٤٥/٣ والألوسي ١٣٣/٢١.
- قوله تعالى: {مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيم}[الصافات:٢٣] ذكرها الواحدي ١٩/ ٣٤ والرازي ١٣٢/٢٣ والألوسي ٩٤/١١.
- قوله تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيم}[الزُّخرُف:١٧] ذكرها ابن عاشور ١٨٠/٢٥.
- قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِر}[القمر:٣٨] ذكرها الرازي ٦٣/٢٩.
- قوله تعالى: {هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّين}[الواقعة:٥٦] ذكرها الزمخشري ٥٦/٤ والشوكاني ١٨٦/٥.
- قوله تعالى: {هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُون}[المطففين:٣٦] ذكرها الألوسي ٧٧/٣٠.
- قوله تعالى: {فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَد}[المَسَد:٥] ذكرها الشهاب ٨/ ٤٠٩.

وهناك آيات أخرى يستشهد بها المفسرون كقوله تعالى: {إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيد}[هود:٨٧] وقوله تعالى: {ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيم}[الدخان:٤٩]، واستشهادهم بها أقل من الآية الأصل.

<u>الآية الثانية:</u> قوله تعالى: {فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَة}[الحاقة:٢١]، ورد التركيب ذاته في سورة القارعة (آية ٧)، واتفقت كلمة كثير من المفسرين على أنّ هذه الآية من المجاز، ولكن ذكرها بعضهم ضمن المجاز العقلي وعلاقته المفعولية، فالعيشة جُعلت فاعلاً ترضى بينما هي في الحقيقة مفعولاً به، فالمراد بمن يرضى هم

أصحابها، وعُلل ذلك بأنَّ في ذلك مدح لهذه العيشة[١]، وللتدليل على أنّها حياة خالصة من الشوائب والكدر فتجاوز الرضى صاحبها إليها[٢]، وبعضهم ذكر أنّها من الاستعارة المكنية والتخيلية كالألوسي الذي أخذ هذا الرأي من سعد الدين وفق مذهب السكاكي، فهو رأي انتقل إلى حقل التفسير من حقل البلاغة[٣]، والرأي الثالث على أنَّها من باب حذف المضاف **أي**: من مجاز الحذف، وتقديره: (ذات رضى) وهو من أقدم الآراء في هذه المسألة حيث نُسب للخليل وسيبويه [٤]، واستشهد بهذه الآية لستة آيات وردت في أسلوبين هما:

أولاً: مجاز الحذف كقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا} [البقرة:١٢٦] ذكر أنّه يجوز أن يكون المحذوف المضاف (ذا آمن) ويجوز أن يكون المراد أهله[٥].

ثانياً: المجاز العقلي وعلاقته المفعولية كقوله تعالى: {قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ }[هود:٤٣] فالعلاقة هنا المفعولية، وتقديره: ولكن من تولاه الله برحمته فهو المعصوم[٦].

وقوله تعالى: {خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ}[الطارق:٦] **أي**: ماء مدفوق: مصبوب في الأرحام، وهو بمعنى المفعول[٧]، وعكس البغوي الإحالة [٨].

وقوله تعالى: {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ}[لقمان:٢] (لقمان: ٢)[٩]، فوصف الكتاب بالحكمة أوله المفسرون بتأويلات مختلفة منها: أنّه وصف بصفة الله على

(١) تفسير الطبري ٢٣/٢٣٣.
(٢) يُنظر روح المعاني ٢٩/٤٨.
(٣) يُنظر المطول ٢٠٧-٢٠٩.
(٤) يُنظر معاني القرآن وإعرابه ٥/٣٥٥، والمحرر الوجيز ٣٠/٦٧٨.
(٥) الكشاف ١/ ٣١٠، وفتح القدير ١/ ١٦٤.
(٦) الكشاف ٢/ ٢٧١، وتفسير البيضاوي ٣/ ١٣٦.
(٧) تفسير البغوي ٨/ ٣٩٤.
(٨) المصدر السابق ٨/ ٢١١.
(٩) اللباب في علوم الكتاب ١٥/ ٤٣٦.

الإسناد المجازي ﷺ [١]، ولكن بعض البلاغيين نفى أن يكون مثل هذا التركيب من باب الإسناد المجازي إذا أُريد بها صاحبها، بل تكون مجازاً إذا وصف الشيء بما يُلابسه في التلبيس بالمسند لكونه إما مكاناً للمسند أو سبباً له[٢]، وقيل: أنَّ المقصود وصفه بذي الحكمة على طريق التضمين؛ والكتاب لا يتملك الحكمة بل يتضمنها، فلأجل تضمنه الحكمة وصف بذلك، وقيل: أنّه من الاستعارة المكنية وفق مذهب السكاكي[٣].

وقوله تعالى: {إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ}[الذاريات:٥] ففي الآية مجاز عقلي؛ لأنَّ الوصف بالصدق للموعد به لا للوعد [٤].

وقوله تعالى: {يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ}[النازعات:١٠] فأصلها: محفورة، فقد أُحيلت هذه الآية على آية الحاقة[٥].

**

(١) يُنظر الكشاف ٣/ ٢٢٩، وتفسير الرازي ١٤١/٢٥.
(٢) الأطول ٢٦٤/١.
(٣) يُنظر فتوح الغيب ١٢/ ٢٧٨.
(٤) يُنظر التحرير والتنوير ٢٦/ ٣٤٠.
(٥) تفسير البيضاوي ٥/ ٢٨٣، وتفسير أبي السعود ٣٩٤/٦، وتفسير القاسمي ٩/ ٣٩٧.

أهم نتائج البحث:

١- تُعد مثل هذه المنهجية خير ما يستدل به المفسرون على المعاني والأغراض البلاغية الدقيقة، فهي أصح الطرق للوصول إلى الدلالات الدقيقة.

٢- وظف المفسرون هذه الآيات التي أسميتها أصولاً لأهداف منها: الاستشهاد لتأكيد ما يحللون، وأنَّ في ذكرها إغناء لهم عن إطالة الشرح والإيضاح، وأنَّ المفسر يُحيل القارئ والمتفهم إلى محصلته العلمية ليقيس عليها الآية موطن التحليل، ويفهم ما فيها من الأسلوب والغرض كما فهم الآية الأصل، وفي هذا إرضاء للمتلقي خصوصاً إذا كان مبرزاً في العلوم عموماً وفي علم البلاغة خصوصاً.

٣- عندما نتتبع مثل هذه المنهجيات نستطيع الوقوف على الوقوف على نشأة علم البلاغة، خصوصاً أنَّ هذا الفن استفاد من غيره من العلوم كما ذكر الباحث في بحثه.

٤- أنَّ علم البلاغة انبنت كثير من مسائله خصوصاً علم المعاني على ما قرره قدماء اللغويين من المفسرين ممن كان لهم باع كبير وسعة علم في اللغة والتفسير.

٥- الغالب على البلاغيين أنهم استفادوا مما أصله اللغويون والمفسرون الأوائل من خلال هذه الشواهد، فنقلوها إلى مؤلفاتهم، بينما تأخرت بعض الأساليب والمصطلحات التي أصل لها البلاغيون كأسلوب الحكيم وكمال الاتصال، فنقلها المفسرون المتأخرون إلى تفاسيرهم.

٦- يعد ابن عاشور هو أكثر المفسرين توظيفاً لهذه الأصول كما ظهر من الجداول التي ذكرتها.

٧- تعد طريقة الاستعانة بالمثل المقابل هي من أقدم طرق التحليل والربط التي وظفها العلماء في مختلف الفنون ومنهم المفسرون واستمرت في تفاسير المحدثين.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم للعمادي أبي السعود محمد، تحقيق/ محمد علي جيلاني، المكتبة التوفيقية –القاهرة- ط١، ٢٠١٣م.

٢- إرشاد الفحول إلى تحقيق علوم الأصول للشوكاني محمد علي، تحقيق/ سامي الأثري، دار الفضيلة –الرياض- ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٣- إعجاز القرآن للباقلاني أبي بكر، تحقيق/ السيد أحمد صقر، دار المعارف –القاهرة- ط٥ (د.ط).

٤- إعراب القرآن وبيانه للدرويش محي الدين ، دار الإرشاد –حمص- ط٤، ١٤١٥هـ.

٥- الإيضاح مع البغية للخطيب القزويني، مكتبة دار الآداب –القاهرة- طبعة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٦- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، شرح وتعليق الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل –بيروت- ط٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٧- أحكام القرآن للعلاء بكر بن محمد، تحقيق/ سلمان الصمدي، وحدة البحوث والدراسات بجائزة دبي الدولية للقران الكريم، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٨- أسرار البلاغة للجرجاني عبد القاهر، قرأه وعلق عليه/ محمود شاكر، دار المدني –جدة- ط١، ١٩٩١م.

٩- أصول الفقه الإسلامي للدكتور/ الزحيلي وهبة، دار الفكر –دمشق- ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٠- الأطول للعلامة بن عربشاه إبراهيم ، تحقيق الدكتور/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية –بيروت- ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١١- أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل للرازي محمد بن أبي بكر، تحقيق/ عبد الرحمن المطرودي، دار عالم الكتب –الرياض- ١٤١٣هـ/١٩٩١م.

١٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي عبد الله بن عمر، إعداد تقديم/ محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي –بيروت) (د.ط).

١٣- الآيات التي قال عنها المفسرون هي أصل في الباب للصطامي سلطان، كرسي القرآن الكريم وعلومه بجامعة الملك سعود، ط١، ١٤٣٥هـ.

١٤- البحر المحيط في التفسير للأندلسي محمد بن يوسف الشهر بأبي حيان، عناية/ صدقي محمد جميل، دار الفكر –بيروت– طبعة ١٤٣٢هـ/٢٠١٠م.

١٥- البرهان في علوم القرآن للزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث –القاهرة– ط٣، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

١٦- البلاغة العربية (أسسها، وعلومها، وفنونها) للدكتور/ الميداني عبد الرحمن، دار القلم دمشق، ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

١٧- بنية العقل العربي (دراسة تحليلية لنظم المعرفة في الثقافة العربية) للدكتور/ الجابري محمد عابد ، مركز دراسات الوحدة العربية –بيروت– ط١٠، ٢٠١٠م.

١٨- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة عبدالله بن مسلم، تحقيق/ السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث –القاهرة– ط٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

١٩- تأويلات أهل السنة للماتريدي أبي منصور محمد بن محمد، تحقيق الدكتور/ مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية –بيروت– ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٢٠- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القران للمصري ابن أبي الإصبع، تحقيق الدكتور/ حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث بوزارة الأوقاف المصرية – القاهرة– طبعة ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٢١- التحرير والتنوير لابن عاشور محمد الطاهر، الدار التونسية للنشر، طبعة ١٩٨٤م.

٢٢- التصوير المجازي والكنائي للدكتور/ أحمد صلاح الدين محمد، مكتبة سعد رأفت – القاهرة– ط١، ١٤٠٨/١٩٩٨م.

٢٣- التفسير البسيط للواحدي أبي الحسن علي بن أحمد، تحقيق/ محمد الفوزان وآخرين، مطبوعات عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.

٢٤- تفسير الراغب الأصفهاني للحسين بن محمد، تحقيق الدكتور/ عادل الشدي، دار الوطن –الرياض– طبعة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٢٥- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب للإمام الرازي محمد بن عمر، طبعة دار الفكر –دمشق– ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري أبي جعفر محمد بن جرير، تحقيق/ عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار هجر– الجيزة– ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٧- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان للقرطبي أبي عبد الله محمد بن أحمد، تحقيق/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة -بيروت- ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٢٨- حاشية الدسوقي على شرح السعد (ضمن شروح التلخيص) دار البصائر -القاهرة- ط١، ١٤١٩هـ/٢٠٠٨م.

٢٩- حاشية السيالكوتي على المطول لعبدالحكيم السيالكوتي، منشورات الرضي-قم- ط٢، ١٤٠٤هـ.

٣٠- خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني) للدكتور/ أبو موسى محمد، مكتبة وهبة -القاهرة- ط٤، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٣١- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية للدكتور/ المطعني عبد العظيم ، مكتبة وهبة -القاهرة- ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٣٢- الدر المصون في علم الكتاب المكون للسمين الحلبي أحمد بن يوسف، تحقيق الدكتور/ أحمد الخراط، دار القلم -دمشق- (د.ط).

٣٣- دراسات لأسلوب القرآن الكريم لعضيمة محمد عبد الخالق ، دار الحديث - القاهرة- (د.ط).

٣٤- درج الدرر في تفسير الآي والسور للجرجاني عبد القاهر ، تحقيق/ وليد الحسين وإياد القيسي، مجلة الحكمة -مانشستر- طبعة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٣٥- دلائل الإعجاز الجرجاني عبد القاهر ، قرأه وعلق عليه/ محمود شاكر، دار المدني - جدة- ط٣، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٣٦- روح البيان للبروسوي لإسماعيل حقي، دار إحياء التراث العربي -بيروت- (د.ط).

٣٧- روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني للألوسي شهاب الدين السيد محمود، دار إحياء التراث العربي -بيروت- (د.ط).

٣٨- زاد المسير في علم التفسير للجوزي أبي الفرج عبد الرحمن بن علي، تحقيق/ عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي- بيروت- ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٣٩- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للخطيب الشربيني شمس الدين محمد بن أحمد، مطبعة بولاق -القاهرة- طبعة ١٢٨٥م.

٤٠- صحيح البخاري للإمام البخاري محمد بن إسماعيل، طبعة مركز البحوث وتقنية المعلومات بدار التأصيل، ط١١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٤١- صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم للدكتور/ سعد محمود توفيق، مطبعة الأمانة – القاهرة- ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٤٢- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي يحيى بن حمزة، تقديم الدكتور/ إبراهيم الخولي، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة- طبعة ٢٠٠٩م.

٤٣- عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي للخفاجي شهاب الدين أحمد بن محمد، دار صادر –بيروت- (د.ط).

٤٤- العين للفراهيدي الخليل بن أحمد، تحقيق الدكتور/ مهدي المخرومي والدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال – بيروت- (د،ط).

٤٥- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري نظام الدين الحسن بن محمد، ضبط/ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية –بيروت- ط١، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٤٦- فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) للشوكاني محمد علي، دار الكلم الطيب –دمشق- ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٤٧- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب للإمام الطيبي شرف الدين الحسين بن عبدالله، أشرف على إخراج الكتاب الدكتور/ محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، جائزة دبي الدولية للقران الكريم ، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٤٨- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري محمود بن عمر، تحقيق/ محمد الصادق قمحاوي، مطبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الأخيرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

٤٩- الكشف والبيان لأبي أحمد الثعلبي، تحقيق/ ألو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي –بيروت- ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٥٠- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن محمد المعروف ، تحقيق/ محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية –صيدا- طبعة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٥١- مجاز القرآن للمثنى معمر، تحقيق/ محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي –القاهرة- طبعة ١٣٨١هـ.

٥٢- محاسن التأويل للقاسمي محمد جمال الدين، تحقيق/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية –بيروت– ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٥٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للأندلسي عبد الحق بن عطية، تحقيق/ الرحالة فاروق وآخرين، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية –قطر– ط٢، ١٤٢٨/٢٠٠٧م.

٥٤- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي عبد الله بن أحمد ، تحقيق/ يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب –بيروت– ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٥٥- مراجعات في أصول الدرس البلاغي للدكتور/ أبو موسى محمد ، مكتبة وهبة –القاهرة– ط٢، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٥٦- المطول للتفتازاني سعد الدين مسعود بن عمر بن، تحقيق الدكتور/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية –بيروت– ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٥٧- معالم التنزيل للبغوي الحسين بن مسعود، تحقيق/ محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة –الرياض– ط٤، ١٤٠٩هـ.

٥٨- معاني القرآن للأخفش أبي سعيد بن مسعدة، تحقيق الدكتورة/ هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي –القاهرة– ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٥٩- معاني القرآن للفراء يحيى بن زياد ، تحقيق/ أحمد يوسف النجاتي وآخرين، الدار المصرية –القاهرة– ط١، (د. ط).

٦٠- معاني القرآن وإعرابه للزجاج إبراهيم بن السري تحقيق/ عبد الجليل شلبي، عالم الكتب – القاهرة– ط١، ١٤١٨هـ/١٩٨٨م.

٦١- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم للدكتور/ جبل محمد حسن، مكتبة الآداب –القاهرة– ط١.

٦٢- مفتاح العلوم للسكاكي لأبي يعقوب يوسف، ضبطه/ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية – بيروت– ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٦٣- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني الحسين بن محمد المعروف، تحقيق/ محمد سيد كيلاني، دار المعرفة –بيروت)، (د.ط).

٦٤- مقاييس اللغة لزكريا أحمد بن فارس، تحقيق وضبط/ عبد السلام هارون، دار الفكر – دمشق– ط١/ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٦٥- نهاية السول شرح منهاج الوصول للإسنوي جمال الدين عبدالرحيم ، عناية/ عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية –بيروت– ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦.

٦٦- الهداية إلى بلوغ النهاية للقيسي مكي بن أبي طالب، مجموعة رسائل بجامعة الشارقة بإشراف الدكتور/ الشاهد بو شيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة– كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٦٧- الوسيط في التفسير القرآن المجيد للواحدي علي بن أحمد ، تحقيق/ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية –بيروت– ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

ثانيًا: المجلات العلمية:

١-الأسلوب الحكيم (دراسة بلاغية تحليلية مع تحقيق في بيان الأسلوب الحكيم) لابن كمال باشا، للدكتور/ الصامل محمد ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عدد شعبان ١٩٩٦م.

٢-الأسلوب الحكيم (دراسة تاريخية فنية) حوليات كلية اللغة العربية –الزقازيق– للهلال سعد إسماعيل ، ع٢٩، مج١، ٢٠٠٩م.

٣-فلسفة الأصل النحوي (دراسة تحلية مقارنة) مجلة جامعة الملك عبد العزيز للفهمي توفيق، مج ٢٨، ع ١٢، ٢٠٢٠م.

* * *